مقام الرجاء عند صوفية الإسلام

دكتور

محي الدين عبد الحميد طاهر

كليـــة الأداب ببنــــها

١٩٩٣

الناشر
مكتبة الأنجلو المصرية
١٦٥ - شارع محمد فريد - القاهرة
رقم الإيداع ٥٥٤٠ / ١٩٩٣ م

الإهـــداء

إلى أسرتى

الزوجة والأولاد : الدكتوره إيناس ، والدكتـورة غادة ، والاستاذ ياسر .

ودعـاء إلى الله تعـالى ان ينعـم علـى ابنـى الراحل المرحوم إيهاب بالرحمة ، إنه سميع مجيب.

أدخله الله فسيح جناته ،،،

دكتـــور
محي الدين عبد الحميد طاهر

المقدمــــة

المقدمة

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ، وبعد

موضوع هذا البحث مقام الرجاء عند صوفية الإسلام ، وهو موضوع جدير بالبحث لما له من أهمية كبيرة فى مجال التصوف الإسلامى ، ذلك أن الصوفية عنوا بالرجاء عناية خاصة ، فنجدهم وقد بحثوا فيه من نواحيه النفسية والأخلاقية ، كما أنهم ربطوا بين الرجاء والترقى الخلقى فى السلوك ، حتى أنهم قالوا : (الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ماهو محبوب عنده) يعنون بذلك أنه إن كان مايخطر بقلب السالك وجود شئ فى الاستقبال ، وغلب ذلك على قلبه ، فإنه يسمى انتظارا ، وإن كان المنتظر محبوباً ، حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة فى القلب وارتياح ، وعندئذ يسمى ذلك الارتياح رجاء .

وقد ربط الصوفية ذلك بالكلام عن المجاهدة والمقامات والأحوال وآداب السلوك والمعرفة ، وغير ذلك من نواحى مذاهبهم الصوفية القائمة على الذوق والعيان ، او بعبارة أخرى ، القائمة على معاناه مباشرة وتجربة حية .

وقد حاولت جهدى دراسة تطور معانى الرجاء عند صوفية الإسلام ، كما عالجت المعانى الاصطلاحية للرجاء عندهم ، وربطها بالكتاب والسنة، والقيت الضوء من الناحية النفسية على الرجاء ، من حيث صلته بمايعانيه الصوفى ، من مشاعر وأحاسيس ، وعرضت ايضاً لارتباط الرجاء بالجانب الأخلاقى للتصوف ، كما وضحت علاقة الرجاء بالمعرفة الإلهية، حتى أننا فى النهاية نكون قد ربطنا بين الرجاء وكل مراحل سلوك الطريق الصوفى .

وقد اقدمت على اختيار هذا الموضوع ، وجمعت من مصادر هذا البحث كل ماتيسرلى ، وتانيت فيه ما وسعنى ، إحساساً منى باهميته فى دراسة التصوف ونظرياته .

ولقد حاولت فى هذا البحث تتبع أقوال الصوفية على اختلاف عصورهم ومذاهبهم فى مصطلح الرجاء، ومقارنته بعضه بالبعض الآخر ، بما يظهرنا على التطور التاريخى لهذه الفكرة ، ودروها فى بناء المذاهب الصوفية .

ولم يغفل البحث ايضاً ، المقارنة بين آراء الصوفية من ناحية، وآراء بعض الفلاسفة وعلماء النفس المحدثين والمعاصرين فى مصر والغرب من ناحية أخرى .

والبحث فى نفس الوقت من نوع دراسة المصطلحات الصوفية ، دراسة موسعة ، فهو يدور حول مصطلح الرجاء ، وبيان مدى ارتباطه بالكتاب والسنة ، مع المقارنة بين معانى المصطلح بحسب المدارس الصوفية المختلفة .

وقد رأينا أن ندعم البحث بإيراد نصوص الصوفية انفسهم ، لاستخلاص نتائجه ، وهذا يفسر لنا اشتمال البحث على كثير منها .

ويتالف البحث من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة :
فنتحدث فى المقدمة عن أهمية الموضوع ، ومنهجنا فى دراسته.

وجعلنا الفصل الأول مخصصاً لموضوع الرجاء عند صوفية الإسلام من حيث تطور معانيه ، وبدأناه بالبحث عما يمكن أن يكون لدى الزهاد فى القرنين الأولين للهجرة من معانى للرجاء ، وانتهينا فيه عند الصوفية السنيين من أصحاب الطرق حتى نهاية القرنين السادس والسابع للهجرة ، وفى الفصل ايضاً معالجة للمعانى الاصطلاحية للرجاء ، مع ربطها بالكتاب والسنة ، باعتبارهما المصدرين الأساسيين للتصوف الإسلامى .

ويأتى بعد ذلك الفصل الثانى لمعالجة فكرة الرجاء ، من حيث ارتباطها بمجاهدة النفس ، والترقى أخلاقيا بالتخلى عن الأخلاق المذمومة ، والتحلى بما يضادها من الأخلاق المحمودة ، وعقبت على ذلك بارتباط الرجاء بطبيعة النفس الإنسانية .

ويجئ بعد ذلك الفصل الثالث ليتناول صلة فكرة الرجاء برياضة النفس من الناحية العملية كالذكر ، والسماع ، والسهر والعبادات ، وغير ذلك .

أما الفصل الرابع فنبين فيه ارتباط فكرة الرجاء بالمقامات والأحوال ، مثل الزهد والتوبة ، والتوكل ، والصبر ، والشكر ، والمحبة والخوف ، وغير ذلك من مقامات الطريق وأحواله .

وتنتهى فصول البحث بفصل خامس عن الرجاء والمعرفة، عند صوفية الإسلام ، وهى المعرفة الكشفية التى يصل إليها الصوفى ، فى نهاية الطريق ، ونوضح فيه علاقة الرجاء بفناء الصوفى ، وتحققه بالمعرفة الإلهية .

وقد عقبت على هذه الفصول الخمسة بخاتمة ، لخصت فيها أهم النتائج التى توصلت إليها فى هذا البحث ، لما لأثرها من قيمة فى الحياة من الناحيتين الروحية والعلمية .

تلك إلمامـة موجـزة باهم العنـاصر التـى يتـالف منـها هـذا البحث، ولعلى بهذا أن أكون قد قمت بجزء من الواجب على، نحو الكشف عن معانى الرجاء عند صوفية الإسـلام وتطورها خلال العصور المزدهرة للتصوف الإسلامى ، منذ بداية القـرن الأول الهجرى ، حتى نهاية القرن السابع الهجرى .

والله الموفق ،،،

دكتـــــور

محي الدين عبد الحميد طاهر

الفصل الأول

تطور معاني الرجاء

عند صوفية الإسلام

الفصل الأول

تطور معانى الرجاء عند صوفية الإسلام

(١) تمهيد.

(٢) معنى الرجاء عند زهاد القرنين الأولين للهجرة .

(٣) معنى الرجاء عند صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة.

(٤) معنى الرجاء عند الغزالى وشيوخ السنيين من بعده .

الفصل الأول

تطور معانى الرجاء عند صوفية الإسلام

١- تمهيد :

رأينا ان نوضح فى هذا الفصل تطور معانى الرجاء [١] عند صوفية الإسلام ، ابتداء من القرنين الأولين للهجرة عند الزهاد الأوائل ، إلى أن ينتهى عند الصوفية السنيين من أصحاب الطرق ، والصوفية المتفلسفين فى نهاية القرن السابع للهجرة .

(أ) وقد وجدنا أن الزهاد الأوائل قد استخدموا الرجاء بمعنى "الأمل" وهو يقترب من معناه فى اللغة العربية. حين يستخدمونه فى المبادرة الى الخيرات ، واستباق الطاعات والعبادات خوف الموت ، وانتظار الثواب .

(ب) ولقد اضاف صوفية الاسلام فى القرنين الثالث والرابع للهجرة ، معنى جديدا للرجاء ، فنجدهم وقد استخدموا

---

(١) الرجاء فى اللغة العربية : الأمل ، انظر مختار الصحاح ، مادة رجو ، والأمل : الترقب ، واكثر ما يستعمل الأمل فيما يستبعد حصوله ، والرجاء بين الأمل والطمع ، والطمع لايقال الا فيما قرب حصوله ، انظر المصباح المنير ، مادة رجو وامل .

الرجاء بمعناه النفسي وهو : ارتياح القلب لانتظار محبوب فى المستقبل

(جـ) هذا بالاضافة إلى أن صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ، قد اضافوا معنى آخر اخلاقى للرجاء ، فنجدهم قد عرفوه بأنه: تحسين الاخلاق مع الخلق ، وجميل الصبر عليهم ، وحسن التصفح ولطيف المداراة لهم ، تقربيا إلى الله عز وجل بذلك ، وتخلقا بأخلاقه ، رجاء ثوابه ، وطمعا فى تنجيز وعده ، واتباعا لسنة رسوله .

(٢) معنى الرجاء عند زهاد القرنين الأولين للهجرة:

(أ) نلاحظ أن البذور الأولى لفكرة الرجاء عند صوفية الإسلام وهى "المبادرة الى عمل الخيرات ،واستباق الطاعات خوف الموت ، وانتظار الثواب" ظهرت عند الزهاد الأوائل .

فيدعو الإمام مالك بن انس (المتوفى عـــام ١٧٩هـــــ) العبد الى المبادرة الى عمل الواجب عليه من حين يصحـــوا إلىأن يمسى ، فيقول ، "انظر مايلزمك من حين تصبح الـــى أن تمسى فالزمه"(١)

أما رابعة العدوية الزاهدة البصريـــــة (المتوفـــاه عـــام ١٨٥هــــ) ، فإنها كانت تقول كل يوم وليلة هذه ليلتى التـــى اموت فيها ولاتنام حتى تصبح وتقول للنهار كذلك ، فلا تنام حتى تمسى".(٢)

ومما يلحق بهذا المعنى للرجاء عند الزهاد الأوائـــــل ، قصر الأمل ، وعدم الاغترار بالامل ، كما يتبين من عبارة الحسن البصرى المتوفى عام ١١٠هـــ ، والتى يقول فيـــــها "لو نظرت يابن ادم الى سير اجلـــك ، لابغضـــت غـــرور أملك.(٣)

وغرور الأمل ، هو التمنى ، وهو ليس كالرجاء، فـــإن الرجاء يصاحبه عمل للوصول إلى مايطمع إليـــه الإنســـان

---

(١) عبد الوهاب الشعرانى : الطبقات الكبرى ، مكتبة محمد على صبيـــح ، القاهرة بدون تاريخ ، جـــ ١ ، ص ٤٥ .

(٢) زين الدين المليبارى ، احاديث وموعظ . مفصــــل علـــى ، شـــعيب الحريفليين ، الروضى الفائق ، بيروت ١٩٧٣م ،ص ٢٧ .

(٣) الطبقات الكبرى ، ص ٢٦

لينال الثواب ، وانتظار النجاة ، اما التمنى فهو رجاء كاذب لايصاحبه عمل .

ومعنى هذا أن الإنسان يجب أن يقصـــر أملـه ، وأن يكون الموت نصب عينيه فى كل لحظة من لحظات عمره.

والحقيقة أن المعانى التى سبقت كلها للرجاء متقاربـه، وحاصلها ، المبادرة الى عمل الطاعات والعبادات ، خـوف الموت وانتظار لثواب الله تعالى ، وهذا المعنى مستمد مـن كثير من الآيات ، حسبنا ان نشير إلى بعضها فيما يلى:

يمدح القرآن حال العباد المســارعين إلـى الخـيرات والمبادرين إلى عمل الطاعات والعبادات ، فيقول سـبحانه وتعالى : (فاستبقوا الخيرات)(١) ويقول أيضا (نسارع لـهم فى الخيرات)(٢)

٣ـ معنى الرجاء عند صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة:

(أ) استخدام صوفية الاسلام فى القرنيـن الثـالث والرابـع للهجرة ، لفظ الرجاء احيانا بمعناه الـذى سـبق عنـد الزهاد الأوائل فى القرنين الأوليـن للـهجرة ، وهـو

---

(١) سورة الحاقة ، آيه ٢٤

(٢) سورة المؤمنون ، آيه ٢٣

استباق الخيرات والمسارعة الى عمل الطاعات والعبادات خوف الموت ، وانتظارا للثواب او النجاة فيذهب ابو طالب المكى ، (المتوفى عام ٣٨٦هـ) إلى أن الرجاء انشراح الصدر بأعمال البر وسرعة السبق ، والمبادرة بها خوف فوتها ، ورجاء قبولها. (١) ويرى سهل بن عبد الله التسترى ، المتوفى عام هـ ، أن الرجاء هو الإسراع فى الأوامر . (٢)

(ب) وقد اضاف صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ، معنى آخر للرجاء يشيع فى أقوالهم ، وهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فى المستقبل ، وهم يستخدمونه بمعناه النفسى وهو راحة القلب واستقراره وعدم اضطرابه نتيجة توقع ماهو محبوب فى المستقبل ، يقول أبو بكر الوراق (المتوفى عام هـ) "الرجاء ترويح من الله تعالى لقلوب الخائفين ، ولولا ذلك لتلفت ، وذهلت عقولهم".(٣)

---

(١) قوت القلوب ، ص ٢١٨ .
(٢) تاريخ التصوف فى الإسلام ، ص ٥٠٢ .
(٣) ابو نصر السراج الطوسى ، اللمع فى التصوف ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، ١٩٦٠م ، ص ٩١ .

وينبه الحارث بن اسد المحاسبى ، السالك الى أن العبد قد يكون عاصيا مغترا ، فإن عارضة القنوط (اليأس) قمعه بالرجاء ، من اجل التوحيد ، فقمع به (أى : بالرجاء) القنوط ، الذى هو معصية لمولاه ، لئلا يجمع معصيته وقنوطا ، فيكونا ذنبين. (١)

ويتضمن هذا المعنى للرجاء عندهم ، أن الرجاء يقمع القنوط واليأس، ومايقوله الصوفية من أن الرجاء او الأمل يقمع باليأس ، وضحه الدكتور زكريا ابراهيم ، قائلا : إن اليأس – مع الأسف – ظاهرة بشرية عادية، نشعر معها بأننا امام مأزق لاجراء لنا فى الخلاص منه، ولكن اليأس – لحسن الحظ ، ظاهرة النفس البشرية فى نطاقه ان تتنفس، ولو لم يكن الأمل (بمعنى الرجاء) هو الجو الروحى الاوحد الذى تحيا فى كنفه النفس الإسانية ، لاختنق البشر جميعا منذ زمن بعيد!!

---

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٨٢ .

وحينما قال بعض الفلاسفة ، إن الله نفسه هو الأمـــل ، فإنهم كانوا يعنون بذلك أنه ليس للمشكلة الأنطولوجيـــة من حل إلا بالامل ؟؟(٢)

وأنفع الرجاء فى رأى بعض الصوفية ، كعبد الله بـــن خبيق الانطاكى هو ماسهل على السالك العمل ، لادراك مايرجوه ، فيقول ابن ضبيق " أنفع الرجـــاء ماســـهل عليك العمل ، لادراك ماترجو).(١)

ونستنتج من كلام ابن ضبيق ان الرجاء النافع هو الذى يسهل على الانسان العمل المنتج المثمر ، فقد يضيـــع الانسان وقته فى التمنى وليس فى الرجاء ، فالرجـــاء عند صوفية الاسلام لابد أن يدفع الانسان إلى العمـــل ويسهله له، وليس يكون دافعا الى التخيلات والاوهـــام الكاذبة.

(جـــ) وقد يعنى الرجاء عند صوفية القرنين الثالث والرابـــع للهجرة، تحسين الأخلاق مع الخلق ، وجميل الصـــبر عليهم ، وحسن الصفح ، ولطيف المداراة لهم ، تقربـــا

---

(٢) زكريا ابراهيم (الدكتور) ، المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القـــاهرة ، عام ١٩٦٩ ، ص ٢٦١ .

(١) ابو عبد الرحمن السلمى ، طبقات الصوفية ، مطابع الشعب ، القـــاهرة عام ١٣٨٠ هـــ ، ص ٣٤ .

إلى الله عز وجل بذلك ، وتخلقا بأخلاقه ، رجاء ثوابه، وطمعا في تبخيز وعده ، واتباعا لسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. (٢)

وهذا هو المعنى الأخلاقى للرجاء ، وسوف نتكلم عن هذا المعنى فى الفصل التالى ، حينما نتحدث عن ارتباط الرجاء بمجاهدة النفس والأخلاق المحمودة.

وقد جعل صوفية القرنين ، الثالث والرابع للرجاء آدابا معينة ملازمة للسلوك ، لانجدها عند الزهاد واشترطوا على السالك مراعاة هذه الآداب ، حتى يصل إلى التحقق بالمعرفة الإلهية ، فيقول أبو سليمان الدارانى "إذا مارأيت الناس يعملون بالرجاء ، فاعمل انت بالخوف ما استطعت إلى ذلك سبيلا "(١)

ويقول ابو بكر الواسطى "الخوف والرجاء زمامان يمنعان من سوء الأدب".(٢) أى أن الأدب فى الرجاء ، هو اتحاد الخوف بالرجاء واعتدالهما.

---

(٢) قوت القلوب ، ص ٢٢٤ .
(١) تاريخ التصوف فى الإسلام ، ص ٥٠٢ .
(٢) طبقات الصوفية ، ص ٧٢ .

ومن أهم ماينبغى على المريد فى أدبه مع الله ، حسن الظن به ، وذلك هو الأدب مع الله فى الرجاء ، يقول الحارث بن اسد المحاسبى حول هذا المعنى : "الرجاء لله عز وجل فى معنيين : أحدهما : حسن الظن بالله".(١)

(د) ونلاحظ بعد ذلك أن صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ، كانت لهم عناية خاصة بالربط بين مفهوم الرجاء وجميع مراحل السلوك فى الطريق الى الله ، كالمجاهدة ومايترتب عليها من المقامات والأحوال والفناء والمعرفة .

ففى كلام صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة عن المجاهدة ، يقول ابو طالب المكى : "من الرجاء تحسين الأخلاق مع الخلق ، وجميل الصبر عليهم ، وحسن الصفح ، ولطيف المداراة لهم ، تقربا الى الله عز وجل بذلك ، وتخلقا بأخلاقه ، رجاء ثوابه ، وطمعا فى تبخيز وعده"(٢) وهو يقول ايضا فى نفس المعنى " من

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٥ .
(٢) انظر، قوت القلوب ، ص ٢٢٤ .

الرجاء ، مهاجرة السوء ، ومجاهدة النفـــس ، رجـــاء انتجاز الموعود".(٣)

وفى كلام الصوفية عن مقام التوبة مثلا أنهم يربطونـــه بمعنى الرجاء ، فيقول الحـــارث بـــن اســـد المحاســـبى : "الإصرار : أن تبقى فى القلب حلاوة المعصيـــة ، وتمنـــى يفارقها ماوجد السبيل إليها ، فالشعور بالرغبة النفسية فـــى المعصية ، وعقد القلب على حبها ، إصرار عليها ، وعلـــى هذا فالتوبة منها ، مع بقاء هذه اللذة فى القلـــب ، وتمنـــى ارتكابها إن وجد إليها السبيل ، وحديث النفس الدائم بلذتها ، هذه التوبة تسمى توبة الكذابين.(١)

وفى مجال حال الخوف ايضا ، لايجوز تغليب الرجـــاء على الخوف ، فإذا غلب الرجاء على الخوف فسد الوقـــت، فيقول شقيق البلخى "إذا غلب الرجاء على الخوف ، فســـد الوقت".(٢)

والفناء عند الصوفى ابو بكر الشـــبلى مرتبـــط ايضـــا بالرجاء ، فيقول " الراجى فى الله تعالى : هو عبد تحقق فى

---

(٣) قوت القلوب ، ص ٢١٨ .

(١) الحارث ابن اسد المحاسبى ، التوبة ، دار الاعتصام القـــاهرة ، عـــام ١٩٧٧م ، ص ٥٦ .

(٢) طبقات الصوفية ، ص ٢٠ .

الرجاء ، فلا يرجو من الله شيئا سوى الله، كما سئل الشـبلى رحمه الله عن الرجاء فقال "الرجاء أن ترجوه ان لايقطع بك دونه".(١)

وهكذا نجد الصوفية فى القرنين الثالث والرابع للهجرة، يستخدمون الرجاء ، مطبقين هذه الفكرة فى مجال السلوك ، من المجاهدة الى المقامات والأحوال والمعرفة ، مما يتبيـن لنا أنهم قد طوروا فكرة الرجاء تطويرا لم يسبقهم إليه زهاد القرنين الأولين للهجرة ، الذين وقفوا عند فهمهم للرجاء عند المبادرة إلى الخيرات واسـتباق الطاعـات والعبـادات ، وانتظار الثواب .

٤ـ معنى الرجاء عند الغزالي وشيوخ السنيين من بعده

(أ) استخدم صوفية الإسلام لفظ الرجاء فى هذه الفترة احيانا بنفس معانيه التى أشرنا إليها مـن قبـل : فـالغزالى (المتوفى عام ٥٠٥هـ) ، يشير إلى الرجاء بمعناه عنـد الزهاد الأوائل، فهو يقول : "العبد إذا بث بذور الإيمان، وسقاه بماء الطاعات وطهر القلب عن شوك الأخـلاق الرديئة ، وانتظر من فضل الله تعالى تثبيته على ذلـك

(١) اللمع فى التصوف ، ص ٩١ .

إلى الموت ، وحسن الخاتمة المفضية إلــى المغفــرة ، كان انتظاره حقيقيا محمودا فى نفسه ، باعثا له علــى المواظبة، والقيام بمقتضى اسباب الإيمان فـــى إتمــام اسباب المغفرة الى الموت".(١)

ويشير الغزالى كذلك إلى معنى آخر للرجــاء ، ذكــره صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة وهو "ارتياح القلــب لانتظار ماهو محبوب عنده".(٢) وهو يقول كذلك "فإذا اســم الرجاء إنما يصدق على انتظار محبـــوب تمـــهدت جميـــع أسبابه الداخلة تحت اختيار العبد ، ولم يبق إلا ماليس يدخل تحت اختياره ، وهو فضل الله تعالى".(٣)

ويشير أحمد الرفاعى (المتوفى عام ٥٧٨ هــــ) إلــى الرجاء : بمعنى "الرجاء : ارتيـــاح القلــب لرؤيــة كــرم المرجو".(٤)

ومما ينسب إلى ابى مدين المغربـــى (المتوفـــى عـــام ٥٩٨هــ، فى معنى الرجاء ، قوله شعرا :

عبدك ياربى لعفوك سائل

وليس له إلا رجاك وسائل(٥)

---

(١) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ .
(٢) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ .
(٣) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ .
(٤) أحمد الرفاعى : قلادة الجواهر ، دار الكتب العلمية ، بـــيروت عـــام ١٩٨٠م ، ص ١٦٣.

(ب) على أن صوفية القرنين الثالث والرابـــع للـــهجرة إذا كانوا قد تكلموا عن الرجاء وارتباطه بسلوك الطريـــق الصوفى بالمجاهدة والمقامات والأحوال ، فإنـــهم لـــم يفصلوا القول فى ذلك .

أما الصوفية السنيون ، ابتداء من الغزالى فـــى القـــرن الخامس الهجرى ، ومن جاء بعده من الصوفية من أصحاب الطرق، فنجد أنهم ربطوا بين الرجاء والسلوك والـــترقى ، فى المقامات والأحوال ، وكل مراحل الطريق ، بشكل أكثر تفصيلا ، وبتعمق ودقة .

فنحن نجد الغزالى مثلا ، يربط بين الرجاء والمقامات مثل مقام الصبر ، فيشير إلى أن الرجاء والخوف يقويـــان على الصبر ، فإن الجنة قد حفت بالمكاره ، فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء ، والنار قد حفت بالشهوات ، فـــلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف.(١)

كما أن الغزالى ايضا من صوفية هذه الفترة ، يربـــط بين الرجاء والحب من الأحوال ، فيقول لمريده: "أعلـــم ان

---

(٥) محى الدين عبد الحميد طاهر (الدكتور) ، ابو مدين المغربى ، حياتـــه وتصوفه رسالة دكتوراه من كلية الآداب جامعة القاهرة ، لم تنشر .

(١) إحياء علوم الدين ، جـــ ٤ ، ص ١٤٥ .

العمل على الرجاء ، أعلى منه على الخــوف، لأن أقــرب العباد إلى أن الله تعالى أحبهم له ، والحب يغلب بالرجاء.(٢)

كما أننا نلاحظ عند كلام صوفية هذه الفترة عــن آداب السلوك ، فإنهم يربطون بينها وبين الرجاء ، فيقــول ابــن عطاء الله السكندرى مثلا عن إسقاط التدبير والاختيار مــع الله تعالى فى مقام الرجاء أو حال الرجـــاء ، "الرجــاء – ايضا كذلك – إذ الراجى قد امتلأ قلبه فرحا بالله ، ووقتــه مشغول بمعاملة الله تعالى ، فأى وقت يسعه التدبير مــع الله تعالى.(١)

وجملة القول ، أننا نجد صوفية هذه الفترة يســتخدمون الرجاء بنفس معاينه السابقة عند الزهـــاد الأوائــل وعنــد صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة ، إلا أنهم دققوا القول فى معاينه ، وفصلوا العلاقة بينه وبين جميع مراحل السلوك ومقاماته واحواله ورياضاته النفسية الأخلاقية ، والروحيــة العملية ، والمعرفة .

---

(٢) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٢٥ .

(١) ابن عطاء الله السكندرى ، التنوير فى إسقاط التدبير ، مطبعــة عبــد السلام شقرون ، القاهرة ، بدون تاريخ ص ٨ .

وهناك ملاحظة ثانية يجب أن نضيفها بعد ذلك ، وهـــى أن الغزالى قد تميز عن الصوفية السابقين عليه ، بأن جعـل الطريق الصوفى كله واضح ومفصـــل ، بعـــد أن اقتصـــر السابقين عليه على الإيجاز والإجمال عن ارتباط الرجــــاء بكل مراحل الطريق الصوفى ابتداء مـــن المجـــاهدة حتـــى المشاهدة .

وبهذا يكون هذا الفصل مدخلا للفصول التالية من هـــذا البحث ، بحيث يعطى للقارئ فكرة اجمالية عن اتجاهــــات الصوفية بالنسبة لفكرة الرجاء ، وســـوف تتضـــح معـــانى الرجاء بصورة اكثر ، حينما نتكلم بالتفصيل عن الرجاء من نواحيه النفسية والأخلاقية والمعرفية.

الفصل الثانى

الرجاء ومجاهدة النفس

الفصل الثانى

الرجاء ومجاهدة النفس

(١) تمهيد

(٢) الرجاء ومعنى المجاهدة

(٣)ارتباط الرجاء بالرياضة الأخلاقية للنفس

(أ) الرياء

(ب) الغرور

(جـ) الياس

الفصل الثانى

الرجاء ومجاهدة النفس

(١) تمهيد :

فى هذا الفصل نبين ماهى النفس ، وماهى مراتبها، فإن معرفة النفس تعين السالك على مجاهدته لها ، للوصول إلى الكمال الأخلاقى ، والمعرفة بالله، وصلة ذلك كله بالرجاء.

كما نوضح فى هذا الفصل ايضا ، معنى المجاهدة عند الصوفية ، وكيف يترقى السالك فى رياضة النفس من الناحية الأخلاقية ، بالإخلاص ، والتواضع، والورع ومالإلى ذلك ، وعلاقة ذلك بالرجاء عند الصوفية .

(٢) الرجاء ومعنى المجاهدة :

يبين لنا صوفية الإسلام أن اساس المجاهدة النفسية أن يعرف الإنسان نفسه ، لأنه إذا عرف المريد نفسه فإنه يستطيع أن يعرف عيوبها ويصنع العلاج المناسب لها عن طريق المجاهدة للوصول إلى الكمال الأخلاقى:"اعرف نفسك ، فإنك لم ترد خيرا قط ، مهما ثقل ، إلا وهى تنازعك إلى خلافه ، ولا عرض لك شر إلا أقله ، إلا كانت

هى الداعية إليه ، ولاصنعت خيرا قـــط إلا لـــهواها ، ولا ركبت مكروها قط إلا لمحبتها ، فحق عليك حذرها ، لأنها لاتفتر عن الراحة إلى الدنيا ، والغفلة عن الآخـــرة ، فـــإن تيقظت للآخرة ، وتذكرتها وتفكرت فيها ، نـــازعتك إلـــى الدنيا وإلى الراحة ، بالتذكر والفكر فيها ، والتمنى لها".(١)

ويقول المحاسبى أيضا فى نفس المعنـــى : فاعرفـــها واحذرها (يقصد النفس) ، فإنك ان عرفتها ، ازددت منـــها حذرا ، وعلى ربك توكلا ، وبه ثقة ، وإليه طمأنينة ، ولها بغضا ومقتا ، ولربك عز وجل مودة وحبا ، ومنها إياسـا وقنوطا ، ولربك عز وجل ، رجاء واملا ".(٢)

وليس من شك فى أن الصوفية فى هذا الشأن اسســـوا علم الأخلاق على علم النفس ، وبذلك يرسى الصوفية قاعدة اخلاقية هامة ، إذا تمسك السالك بها فإنه لن يصل أبـــدا ، وهى معرفة الإنسان نفسه ، حتى إذا عرف نفســـه ، فإنـــه يحذرها ، ويزداد لربه رجاء وامـــلا ، وبذلـــك نجـــد أن الصوفية كانت لهم عناية كبرى بتحليـــل النفـــس لمعرفـــة اخلاقها وسلوكها.

(١) الحارث بن اسد المحاسبى ، الرعاية لحقوق الله ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة ، عام ١٩٦٠م ، ص ٢٨١ .
(٢) الرعاية لحقوق الله ، ص ٢٨٢ .

والمجاهدة عند صوفية الإسلام ، ينبغى أن تتم تحت إشراف شيخ مرب ، وإلا لم يصل المريد إلى الكمال الأخلاقى ، وحول هذا المعنى يقول ابن عجيبة الحسنى : "من كان رجاؤه الوصول إلى إدراك المقامات ، وتحقيق ، المنازلات ومواجيد المحبين واذواق العارفين ، فعليه بصحبة الفحول من الرجال أهل السر والحال ، بحط راسه، وذبح نفسه.(١) ، والأخذ فيما كلفوه به من الأعمال ، مع الذل والافتقار ، والخضوع والإنكسار".(٢)

وحد الرجاء فيما يرى صوفية الإسلام ، هو ماطيب لك العبادة ، وحملك على السير ، فهو بمنزلة الرياح التى تسير السفينة ، فإذا انقطعت الرياح ، وقفت السفينة ، وإذا زادت القتها إلى المهالك ، وإذا كانت بقدر ، اوصلتها الى البغية.(٣)

ونتحدث فيما يلى عن ارتباط الرجاء برياضة النفس من الناحية الأخلاقية .

---

(١) يريد بذبح نفسه : مجاهدتها .
(٢) انظر ، ابن عجية الحسنى ، إيقاظ الهمم ، مكتبة مصطفى البابى الحلبى، القاهرة ، عام ١٩٧٢ م ، ص ١٥٩ .
(٣) انظر ، مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٢٩٣ .

(٣) ارتباط الرجاء بالرياضة الأخلاقية للنفس :

إن مايرشد به الشيخ مريده هو رياضة نفسه من الناحية الأخلاقية ، وهى عند الصوفية ، المجهود الشاق الذى يبذله السالك ، ليتخلص من آفات نفسه وعيوبها الذميمة كالرياء ، والعجب أو الكبر ، واليأس وما إليها من الصفات الأخلاقية السيئة التى تعتبر من أكبر العوائق بالنسبة للمريد فى السلوك إلى الله .

ولكى تتضح رياضة النفس من الناحية الأخلاقية ، سنعرض لكيفية تخلى المريد عن الأخلاق السيئة ، وتحليه بأضدادها من الأخلاق الكريمة ، وفيما يلى بيان ذلك .

(أ) الرياء :

الرياء عند الصوفية ، من الصفات المذمومة التى يجب أن يتخلى المريد عنها ، ويعرف الصوفية الرياء بأنه طلب المنزلة فى القلوب بالأعمال والعبادات، وإظهارها .

ويذهب صوفية الإسلام أنه إذا لم يظهر المريد أو يتظاهر بعباداته وأعماله أمام الناس ، ولكن الله تعالى أظهره واطلع العبادة عليه ، فيظهر الجميل منه ، ويستر القبيح ، فإن ذلك لايعد من الرياء ، ولهذا فإن هذا العبد يفرح ويستر إذا ستر الله عز وجل عليه القبيح ، واظهر

الجميل ، رجاء أن يكون هذا دليلا على ستر الآخرة ، لقول النبى صلى الله عليه وسلم "ماستر الله عز وجل على عبد فى الدنيا، إلا وستر عليه فى الآخرة.

ومما يضاد الرياء عند الصوفية ، الإخلاص ، ويقتضى الإخلاص فيما يرى صوفية الإسلام أن يتأكد المريد أنه زاول عمله او عباداته ولم يخالطه رياء ، وتيقن من إخلاصه لله تعالى فى ذلك ، فإن رجاءه وخوفه يتعاظمان ، ويتوقع حسن الطاعة ، وحول هذا المعنى يقول المحاسبى : "إن لم يكن قد خالطه (أى : العمل) رياء ، فذلك زيادة على عمله ، وعبادة منه ، وكلما اشفق ، ازداد نعيما بالطاعة وأملا فى الله عز وجل ، إذ ايقن أنه دخله بالإخلاص ، وختمه بالإشفاق والوجل عن علم الله عز وجل ، فبذلك يعظم رجاؤه وأمله ، وينعم بطاعة ربه عز وجل".(١)

وقد أرسى الصوفية قاعدة أخلاقية فى علاقة الفرد بالمجتمع ، فلا يجب على الفرد أن يتباهى ويتفاخر بعمله أمام الناس أو امام رئيسه فى العمل ، فإذا كان الفرد قد أجاد عمله ، فإن الله اولا هو الذى وفقه لذلك ، وهذا العمل هو الذى يثبت مدى كفاءة هذا الفرد للعمل ، وهذه قاعدة

---

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ١٩٩ .

هامة جدا ، فإن تمسكنا بها ، فإن البلاد تسير إلى الأمام فى إتجاه التنمية والرقى .

(ب) الغرور :

الغرور ، هو ضياع امر الله تعالى ، والإقلال من خوفه وحذره ، فالغرة بالله عز وجل إنما هى خدعة النفس بصنيع الله عز وجل بالعبد أو بإسم رجاء الله عز وجل ، او ببعض العبادة والعلم ، فيغتر كثير من العباد ببعض ذلك ، حتى يعصى الله عز وجل ، وهو يرى أنه من المحسنين.(١) وعلى الجملة ، فالغزرة بالله ، هى أن يعصى العبد الله تعالى ، ويتمنى المغفرة منه والرحمة ، ويظن أن ذلك منه رجاء ، وذلك هو الرجاء الكاذب أو العزور .

وإذا كان الأمر كذلك فإن المغتر يذكر الرجاء ويظن أن الغرة منه رجاء ، فيقيم على معاصى الله عز وجل ، ويظن ذلك حسن الظن منه ، وليس ذلك بحسن ظن . (٢)

ويفرق الصوفية بين الغرة ، والرجاء ، فالرجاء هو ماهاج من الطمع والأمل فى الله عز وجل ، فسخا نفس العاصى بالتوبة ، وحال بينه وبين القنوط وبعث العبد على

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ١٩٩ .
(٢) إرجع الى ، الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٧ .

الطاعة لله عز وجل ، والتشمير والإجتهاد ، رجاء ما وعد العاملين .

أما الغرة فهى خدعة من النفس والعدو ، بذكر الرجاء، بالتوحيد ، أو بالآباء الصالحين ، أو بعمل قليل ضعيف ، فتطيب نفسه بتلك الخدعة حتى تهون عليه ذنوبه ، لظنه أنها مغفورة ، فيتمنى المغفرة ، فيقيم عليها ولايتوب .(١)

وخلاصة الأمر ، إن من رجا شيئا طلبه ، ومن خاف شيئا هرب منه ، فالمغترون يقولون ، نرجوا الله تعالى ، ويضيعون العمل ، فهذه امانى وليست رجاء ، والأمانى غرور وحمق ورجاء كاذب ، فالأمنية لابد أن يقارنها عمل، لكى تكون رجاء ، وإلا فهى أمنية .

والرجاء يحمد فى موضعين فيما يرى الصوفية ، أحدهما فى حق العاصى المنهمك ، إذا اخطرت له التوبة ، فقال له الشيطان ، وأنى تقبل توبتك ؟ فيقنطه من رحمة الله تعالى ، فيجب عند هذا أن يقمع القنوط بالرجاء ، ويتذكر أن الله يغفر الذنوب جميعا ، وأن الله كريم يقبل التوبة عن عباده ، وأن التوبة طاعة تكفر الذنوب ، والثانى : أن تفتر نفسه عن فضائل الأعمال ، ويقتصر على الفرائض ،

(١) انظر ، الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٨ .

فيرجى نفسه نعيم الله تعالى ، وما وعد ربـه الصـالحين ، حتى ينبعث من الرجاء نشاط العبادة ، فيقبل على الفضائل، فالرجاء الأول يقمع القنوط المانع من التوبـة ، والرجـاء الثانى يقمع الفتور المانع من النشاط والتشمر .(١)

وعلى الجملة ، فكل توقع حث على التوبـة أو علـى تشمر فى العبادة ، فهو رجاء ، وكل رجاء أوجب فتـورا فى العبادة ، وركونا الى البطالة ، فهو غرور .

(جـ) اليأس :

- اليأس او القنوط يضاد الرجاء عند بعض الصوفيـة ، ويرى الصوفية ايضا أن اليأس مذموم ، لأنـه يصـرف المريد عن العمل ، فيقول الغزالى "الرجاء يضاد اليأس ، او ويقول كذلك "الرجاء محمود ، لأنه باعث ، واليأس مذموم ، وهو ضده ، لأنه صارف عن العمل "(٢)

ويستند هذا الكلام عند صوفية الإسلام إلـى مصـدر إسلامى من القرآن ، فيقول الله تعالى : "لاتقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا " . (٣)

---

(١) إحياء علوم الدين جـ ، ص ٣٢٩ .
(٢) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ . ص ١٢٥ .
(٣) سورة الزمرآيه ٥٣

ويشير الحارث ابن اسد المحاسبى إلى هـــذا المعنـــى السابق ، فيرى أن الرجاء لله عـــز وجـــل فـــى معنييـــن : احدهما: حسن الظن بالله عز وجل ، حيث وصفه الله عـــز وجل ، لأن رجاء المذنبين من عبـــاده أن لايقنطـــوا ، وأن يتوبوا إلى ربهم من ذنوبهم".(١)

ويحلل المحاسبى السبب الذى علـــى أساســـه أمـــر الله تعالى المذنبين بعدم اليأس من رحمته ، فهو يقول "رجى الله عز وجل العبد المغفرة على التوبة وإن عظمـــت ذنوبـــه ، وكثرت ، أن لايمنعه كثرة ذنوبه وعظمها أن يتوب إلى ربه عز وجل ، ولايخاف خوفا يقنط معه حتى يقول : لايغفـــر لى ، ولايقبل توبتى ، فيقيم علـــى المعصيـــة ، خوفـــا أن لايقبل له توبة ، فيزيده قنوطه مقاما على المعاصى".(٢)

وينبه الصوفى عبد الله بن مســـعود مريديـــه إلـــى أن الكبائر أربع : أحدها القنوط من رحمة الله . (٣)

---

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٦ .
(٢) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٦ .
(٣) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٧ .

وعلى الجملة ، فقد جعل صوفية الإسلام اليـــأس مـــن المعاصى والذنوب الكبيرة مثل الشرك بالله والسرقة والزنـــا وغير ذلك.

ويرى بعض الصوفية أن علاج اليأس أو القنوط يكـــون من الله تعالى عن طريق جوده وكرمه على نفس العـــاصى بالتوبة ، فالتوبة جود مـــن الله تعـــالى وفضـــل ، يقـــول المحاسبى"الرجاء هو ماهاج من الطمع والأمل فى الله عـــز وجل ، فسخا نفس العاصى بالتوبـــة، وحـــال بينـــه وبيـــن القنوط".(١)

وهكذا جعل الصوفية اليأس او القنوط يمنع من الأمـــن، فقد يؤدى اليأس بالعبد إلى الأضطراب والقلق النفسى وعدم الثبات والأستقرار النفسى ، بحيث تصبح حياته مهدده مـــن حين لآخر ، وهذا هو اليأس المرضى فيما يرى علم النفـــس الحديث والمعاصر ، يقول المحاسبى حول هذا المعنـــى "الله عز وجل جعل الرجاء مزيلا للقنوط".(٢)

وكذلك الأمر عند الفلاسفة وخاصة فلاسفة الأخلاق فى مصر والغرب ، ونحن نجد أن الدكتور زكريا ابراهيم يفرق

---

(١) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٧٨ .

(٢) الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٨٢

بين اليأس المرضى واليأس السوى ، فيرى أن اليأس السوى ، ينطوى فى نفسه منذ البداية على رغبة عارمة فى تجاوز ذاته ، من أجل الاتجاه نحو حالة نفسيه جديدة ، يكون من شأنها أن تستوعبه وتعلو عليه ، ونحن نعوف أن الشرط الأساسى للشفاء ، إنما هو رغبة المريض الحقيقية فى الشفاء ، أعنى ما اصطلحنا على تسميته باسم (إرادة الشفاء) ، ومن هنا فإن اخطر انواع المرضى إنما هم أولئك الذين لايريدون فى قرارة نفوسهم أن يشفوا ، وأهل العلاج النفسى يلتقون بالكثير من المرضى العصابيين ، الذيى يندرجون تحت هذه الطائفة من المرضى.

ويستطرد الدكتور زكريا ابراهيم قائلاأن اليأس السوى العادى هو فى جوهره حاله عرضية ، سرعان ماتتخطاها النفس ، لأنها تشعر بأنها لاتستطيع أن تتوقف عندها، وآية ذلك أن النفس تدرك أن ثمة مستقبلا ، وهى تشعر بأن أفق الزمان مفتوح، فهى لاترى فى أى ظرف طارئ ، حالة مستديمة لاسبيل إلى الخروج منها. (١)

ويتضح من كلام الدكتور زكريا ابراهيم أن النفس السوية ، لها القدرة على تحطيم اليأس ، مهما كانت درجة

---

(١) زكريا ابراهيم (الدكتور) ، المشكلة الخلقية ، مكتبة مصر ، القاهرة ، عام ١٩٦٩م ، ص ٢٧٢ ، ٢٧٣ .

صلابته وقوته . كما تستطيع النفس كذلك ، تحويل اليـــأس إلى رجاء ، أو أمل . أما الفيلسوف الوجودى كيركجـــارد، فيذهب إلى القول بأن الظاهرة البشرية الطبيعية هى اليأس ، وحجة هذا الفيلسوف ، أنه ليس على ظهر الأرض إنســـان واحد يخلو جسمه تماما من كل مرض . (١)

وربما كانت أخطر صورة من صور اليأس ، فيما يرى كيركجارد ، هى تلك التى يتوهم معها الإنسان بأنـــه خلـــو تماما من كل يأس.(٢)

وخلاصة الأمر ، أن كيرجارد يرى فى اليأس أمــــارة من امارات الوعى او الشعور ، أو مايســـمى "الوعـــى أو الشعور بالذات".(٣)

---

(١) المشكلة الخلقية ، ص ٢٦٣ .
(٢) المشكلة الخلقية ، ص ٢٦٤.
(٣) المشكلة الخلقية ، ص ٢٦٤ .

الفصل الثالث

ارتباط الرجاء بالرياضات الروحية العملية

الفصل الثالث

ارتباط الرجاء بالرياضات الروحية العملية

(١) تمهيد.

(٢) ارتباط الرجاء بالذكر والسهر :

(٣) ارتباط الرجاء بالسماع

(٤) ارتباط الرجاء بالعبادات

الفصل الثالث

ارتباط الرجاء بالرياضات الروحية العملية

١- تمهيد :

بينا فى الفصل السابق كيف يتدرج المريد فى رياضة نفسه من الناحية الأخلاقية ، بإحلال صفاتها الحميدة محل صفاتها الذميمة ، لتحقيق الكمال الأخلاقى ، فوضحنا كيف يتخلى المريد عن الرياء ،ويتحلى بالإخلاص، ويتجنب الغرور، ويتمسك بالتواضع ، ويفنى عن اليأس ويبقى بالرجاء أو الأمل الى غير ذلك، ثم تكلمنا عن طبيعة النفس الإنسانية ، وصلة ذلك كله بالرجاء .

وسوف نتحدث فى هذا الفصل عن اصطناع المريد للرياضات الصوفية العملية ، من ذكر ، وسماع ، وعزلة وحلوه.... وما إلى ذلك ، موضحين صلة ذلك بالرجاء وفيما يلى بيان ذلك .

(٢) ارتباط الرجاء بالذكر والسهر :

من أهم الرياضات الروحية العملية عند الصوفية ، والتى يجب على المريد الالتزام بها ، الذكر ، وقد ربط الصوفية بين الرجاء والذكر .

والذكر عند صوفية الإسلام هو التخلص من الغفلة والنسيان ، بدوام حضور القلب مع الله تعالى .

ومن أنواع الذكر عند الصوفية ، قراءة القرآن وفهمه وتدبره .

وينبغى للمريد الذى يتلو القرآن ، الخائف ، الذى ينصح الخلق والذى يتصف بأنه رحيم القلب ، إذا تلى الآيات التى تذكر الوعد ، والمدح ، ومحاسن الوصف ، ومقامات المقربين ، ان لايشهد نفسه هناك بين هذه الدرجات ، وإنما يشهد للمؤمنين والصديقين منها، وإذا تلى الآيات الممقوت أهلها ، التى تذم الغافلين والمخطئين ، فإنه يشهد نفسه ضمن هذه الطائفة ، وأنه هو المخاطب بهذه الأيات ، وهو المقصود بذلك ، وهو بذلك يكون راجيا للخلق ، خائفا على نفسه ، يقول ابو طالب المكى فى هذا المعنى :" ينبغى للتالى الخائف الناصح لنفسه وللخلق ، السليم القلب ، إذا تلى آى الوعد ، والمدح ، ومحاسن الوصف ، ومقامات المقربين ، أن لايشهد نفسه هناك ، ولايراها مكانا لذلك ، بل ليشهد للمؤمنين فيها وينظر إلى

الصديقين منها سلامة ونصحا ، فإذا تلى الآى الممقـــوت أهلها ، المتهدد عليها ، المذمـــوم وصفـــها مـــن مقامـــات الغافلين، وأحوال الخاطئين ، شهد نفسه هناك ، وأنـــه هـــو المخاطب المقصود بذلك ، خوفـــا منـــه وشـــفقه ، فبـــهذه المشاهدة يرجو للخلق ، ويخاف على نفسه.(١)

ويجب على المريد فيما يرى صوفية الإسلام ، أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة ، بحسب أختلاف الآيـــات ، فيكـــون لـــه بحسب كل منهم حال ووجد يتصف به قلبه ، مـــن الحـــزن والخوف والرجاء ، وغيرها . على حد قول الغزالى .(٢)

وقد يسأل سائل ، أيهما أفضل : المخالفة بتلاوة القـرآن وتدبره وفهمه ، ام الجهر به ؟ ، ويفضل بعض الصوفيـــة الجهر عن المخافته بالقراءة والتلاوة ، فيقول ابـــو طـــالب المكى " المخافتة بالقراءة افضل إذا لم تكن للعبد نيـــة فـــى الجهر، أو كان ذاهبا عن الهمة ، والمعاملة بذلـــك ، لأنـــه أقرب إلى السلامة ، وأبعد عن دخول الآفة . وإن الجـــهر افضل لمن كان له نية الجهر ، ومعاملة مولاه به ، لأنه قـــد قام بسنة قراءة الليل ، ولأن المخافت نفعه لنفسه ، والجـــهر

---

(١) انظر ، قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٤٩ .
(٢) أحياء علوم الدين ، جـ ١ ، ص ٢٥٣ .

نفعه له ولغيره ، وخير الناس من ينفع الناس ، والنفع بكلام الله عز وجل ، أفضل المنافع ، ولأنه قد أدخل عملا ثانيا . ثانيا : يرجو به قربة ثانية على عمله الأول ، فكان فى ذلك افضل ".(١)

ومما سبق يتبين أن المريد إذا جمع همته وقلبـــه فـــى تلاوة القرآن وتدبره وفهمه ، فإنه يفهم من القـــرآن فـــهما لايفهمه غيره ، بالإضافة إلى أنه يجد فيـــه كــل مـــايريد لإصلاح حاله .

ولما كان من أنواع الرجاء عند الصوفية ، القنوت فـــى ساعات الليل ، وطول القيام للتهجد ، فإن ابى طالب المكــى يحدثنا عن ذلك ، فيقول "من الرجاء القنوت فـــى ســـاعات الليل ، وهو طول القيام للتهجد ، والدعـــاء عنـــد تجـــافى الجنوب عن المضاجع ، لما وقر فى القلوب من المخاوف ، ولذلك وصف الله تعالى الراجين بهذا فى قوله تعالى (أمـــن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحـــذر الآخـــرة ويرجـــو رحمة ربه ، هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون)(٢)، فسمى أهل الرجاء والحذر ، وأهل التهجد علماء .(٣)

---

(١) قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٥٩ – ٦٠.
(٢) سورة الزمر آيه ٣٩
(٣) قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٢١٨ .

والقيام للتهجد أثناء الليل يحتاج من المريد إلى أسـباب لابد منها، منها هم يلزم القلب ، وحزن ، وفكر فى الملكوت متصل ، وحول هذا المعنى يقول ابو طالب المكى "لايسـلك هذا الطريق إلا بأسباب هى زاده ، لأن كل طريـق يقطـع بزاد مثله ، فمن اراده (١) واخـذ مـن زاده ، فالاسـباب : أحدها هم يلزم القلب وحزن يسكن فيه ، او يقظه دائمة يحيا بها القلب ، وفكر فى الملكوت متصل ، وخلو المعدة مـن الطعام ، وقلة الشرب ، وأن يقبل بالنهار، ولا يكثر تعـب جوارحه فى أمر الدنيا ، فهذه رياضة المريد إلى أن يـألف القيام ، وليستوطن حينئذ ، فيتجا فى جنبه ، لما فى قلبه من الخوف والرجاء الذى قد استكن فيه ".(٢)

ومما يستعان به على قيام الليل والتـهجد فيمـا يـرى الصوفية شوق رجاء الموعد ، وهو الوعد الذى وعـده الله لأصحاب التهجد ، بالإضافة إلى الغم الناتج عـن خـوف الوعيد ، واستمع إلى أبى طالب المكى وهو يقول حول هـذا المعنى "يستعان على قيام الليـل بثـلاث : أكـل الحـلال

---

(١) احتقب :اكتسب ، انظر المصباح المنير ، مادة حقب
(٢) انظر قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٣٨ .

والاستقامة على التوبة ، وغم خوف الوعيد ، أو شوق رجاء الموعود"(١)

ومن صفات القائمين والمتهجدين فيما يرى صوفية الإسلام ، أن الله تعالى جمعهم مع النبى صلى الله عليه وسلم فى حسن الجزاء ، وشكر المعاملة ، وقد سماهم علماء، وجعلهم من أهل الخوف والرجاء .

وقد وصفهم الله تعالى بأن جنوبهم تعرض عن الفواش فقد كان عملهم قيام الليل ،وكانوا من أهل الخوف والرجاء.(٢)

ومما يلحق بالذكر كذلك عند الصوفية ، الدعاء ، والدعاء قد يكون مناجاة لله تعالى ، أو التماسا للعون منه فى وقت الشدة . ومما يجب على المريد فى دعائه ، أن يجزم الدعاء ، ويوقن بالإجابة ، ويصدق رجاؤه فيه ، وذلك فيما يرى أبو حامد الغزالى .(٣)

---

(١) قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٤٠ .
(٢) ارجع الى قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٣٥ .
(٣) أحياء علوم الدين ، جـ ١ ، ص ٢٧٦ .

وقد يكون الذكر ، بالأوراد،(١) كذلــك عنــد صوفيــة الإسلام، ويوصى الصوفية المريدين ، بمواصلة الأوراد فى الأيام الفاضلة ، وهـــى تســعة عشــر يومــا ، تســتحب فيهامواصلة الأوراد ، والدأب فى العبادة ، يوم عاشــوراء ، ويوم عرفة ، ويوم سبعة وعشرين من رجب ، ويوم ســبعة عشر من شهر رمضان ، ويوم النصف من شعبان ، ويــوم الجمعة ، ويوم العيد ، والأيام المعلومات وهى عشـــر ذى الحجة ، والأيام المعدودات ، وهى أيام التشريق .

ويرى ابو طالب المكى أن هذه الأيـــام يرجـــى منـــها الفضل من الله عز وجل والمزيد ، فإذا اشتغلت فيها بــهواك وعاجل الدنيا ، فمتى ترجو الفضل والمزيد . (٢)

وفى كل انواع الذكر ، فإن الذكر يأتى على وجوه فيمـا يرى الصوفية ، فتارة يذكر الله لعظمته فيتولد منه الهيبـــة ، والجلال ، وتارة يذكر لقدرته وغناه وسطوته ، فيتولد منـــه

---

(١) الورد فى اصطلاح الصوفية عبارة عما يقع بكسب العبد من الأذكـــار والعبادات الظاهرة والباطنة ، انظر شرح ابن عباد الرندى على الحكم العطائية ، جـ ١ ، ص ٨٥.

(٢) قوت القلوب ، جـ ١ ، ص ٦٢ .

الخوف والحذر ، وتارة يذكر لفضلـــه ورحمتـــه وجـــوده وكرمه، فيتولد منه الرجاء.(١)

وللذكر وظائف سيكولوجية وأخلاقيـــة ، فـــإذا كـــانت الأمراض النفسية تتشأعادة من الاعتقادات الفاسدة والأخلاق المذمومة وعدم تكيف الإنسان مع اسرته او مجتمعه ، فـــإن القرآن كفيل بإزالة أسباب ذلك كله ، فالذين ينكرون وجـــود الله ، أو يشركون به ، او يعبدون شـــهواتهم واهواءهـــم ، تعتريهم الشكوك به ، أو يعبـــدون شـــهواتهم وأهواءهـــم ، تعتريهم الشكوك ، وتصادفهم المتاعب النفسية ، ولاشـــفاء لهم إلابعقائد القرآن ، والذين أرهقتهم أخلاقهم المذمومـــة ، كالحقد والنفاق والرياء ، وأودت بهم إلى أنواع من الســـلوك المنحرف لاشفاءلهم إلا بأخلاق القرآن ، والذيـــن اتعبيتـــهم علاقاتهم بالأسرة أو بالمجتمع ، لأشفاء لـــهم الا بتصحيـــح مواقفهم من أسرهم أو مجتمعهم بماوضع القرآن لذلك مـــن أحكام وآداب . (٢) والوعيد ، وإجابة داعى الحق ، وســـماع

(١) انظر ، عماد الدين الأموى ، حياة القلوب ، مفصل على هامش قـــوت القلوب للمكى ، مكتبة المتنبى ، القاهرة ، بدون تـــاريخ ، جـــ ٢ ، ص١١١ .

(٢) أبو الوفا التفتازانى (الدكتور) ، حكمة العبادات ، مقال بمجلة التصوف الإسلامى ، العدد السابع ، ذو الحجة ١٣٩٩ هـــ ، ص ٩

أخبار الكتاب والسنة ، وسماع القلب لذكر الله تعالى وقراءة القرآن .

ويرتبط الرجاء بالسماع عند صوفية الإسلام ، فيبين لنا الصوفية أن هناك نوع من السماع ، وهو السماع بالحـــال وفيه يتأمل السالك الواردات والأحوال والخواطر التى تـــرد عليه من الله تعالى ، ويسميه بعض الصوفية سماع العشاق، وهو يحرك الشوق ، ويسلى النفس ، ويحصل لذة الرجـاء ، يقول الغزالى حول هذا المعنى "سماع العشاق ، تحريكـــا للشوق ، وتهيجا للعشق ، وتسلية للنفس ، فإن كـــان فـــى مشاهدة المعشوق ، فالغرض تأكيد اللذة ، وإن كـــان مـــع المفارقة ، فالغرض تهيج الشوق . والشوق وإن كان ألما ، ففيه نوع لذة إذا انضاف إليه ، (رجـــاء الوصـــال) ، فـــإن الرجاء لذيذ ، واليأس مؤلم ، وقوة لذة الرجاء بحسب قـــوة الشوق والحب للشئ المرجو ، ففى هـــذا الســـماع تـــهييج العشق، وتحريك الشوق ، وتحصيل لذة الرجاء المقدر فـــى الوصال. (١)

وهذا النوع من السماع ، وهو السماع بالحال يحـــرك ماينطوى عليه القلب من السرور ، والحـــزن ، والرجـــاء

---

(١) إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ،ص ٢٤٦ .

والشوق ، فربما يخرجه إلى البكاء ، وربما يخرجه إلى الطرب.(١)

ويذكر لنا الصوفية نوعا آخر من السماع ، وهوالسماع بالله ، ولله ، وفى الله ، ومن الله ، وهو سماع من جاوز الأحوال والمقامات ومنها الرجاء ، فعزب عن فهم ماسوى الله تعالى ، حتى عزب عن نفسه وأحوالها ، ومعاملاتها.(٢)

وقد يثمر السماع وجدا ، وهذا الوجد يوجد عقيب السماع وبسبب السماع فى النفس ، وهذا الوجد يثمر الخشية ولين القلب والحب والخوف والرجاء. ويرى صوفية الإسلام أن الذى أثمر هذا الوجد ، رجاء صاف ، أى : رجاء لايشوبه وهم أوخيال ، فإن أساس هذا الرجاء هو العمل ، وإلا فهو أمنية أو غرور أو رجاء كاذب ، يقول ابن القيم فى هذا المعنى : جذب ذلك الوجد أو الفضل او الإيناس ، رجاء صاف غير مكدر ، والرجاء الصافى ، هو الذى لايشوبه كدر توهم معاوضة منك ، وأن عملك هو الذى بعثك على الرجاء ، فصفاء الرجاء يخرجه عن ذلك ،

---

(١) ابن عجيبة الحسنى ، الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية ، مكتبة عالم الفكر ، القاهرة عام ١٩٨٣، ص ١٨٤ .
(٢) إحياء علوم الدين ، جـ ٢ ، ص ٢٥٦ .

بل يكون رجاء محضا لمن هو مبتدئك بالنعم ، من غير استحقاقك".(١)

٣- ارتباط الرجاء بالعبادات :

هناك أنواع أخرى من الرياضات الروحية العملية عند صوفية الإسلام غير التى ذكرناها سابقا ، ومنها العبادات كالصلاة ، والزكاة والحج ، والصوم ، وسوف نعرض لموضوع واحد من هذه الموضوعات وهو الصلاة رابطين بينها وبين الرجاء .

فالصوفية يوضحون لنا صفات العباد الراجين ، يقول أبو طالب المكى أن الرجاء لايكمل فى قلب عبد ، ولايتحقق به صاحبه حتى يجتمع فيه هذه الأوصاف :

الإيمان بالله تعالى ، والمهاجرة إليه سبحانه وتعالى ، والمجاهدة فيه ، وتلاوة القرآن ، وإقام الصلاة ، والإنفاق فى سبيل الله تعالى ، ثم السجود آناء الليل والقيام".(٢)

ويذهب بعض الصوفية إلى أن العبد أثناء الصلاة يقرأ بعض آيات القرآن ، ولذلك ينصح الغزالى مريده بقوله

---

(١) انظر ، مدارج السالكين ، جـ ٣ ، ص ٩٥ .
(٢) قوت القلوب ، جـ ١ ، ص٢١٨.

"ينبغى أن تفهم ماتقرؤه من السور ، فلا تغفل عـــن أمـــره ونهيه ، ووعده ووعيده ، ومواعظه وأخبار انبيائه ، وذكـــر منته وإحسانه ، ولكل واحد حق ، فالرجاء حـــق الوعـــد ، والخوف حق الوعيد".(١)

وعلى الجملة فينبغى للعبد إذا قام بأداء فريضة الصلاة أن يفهم مايقرأ من الآيات ويتدبرها فمن الأيات مايشير إلـــى الوعد بالثواب ، والنجاة ، والجنة ، ولكل منها حق . فحـــق الوعد الرجاء ، فيجب على المصلى أن يرجو الله بعد قراءة آيات الوعد .

وللصلاة شروط واركان ، منها النية ، ويرى صوفيـــة الإسلام أنه فى النية ، يجب على العبد أن يعزم على إجابـــة الله عز وجل فى امتثال أمره بالصلاة وإتمامـــها ، والكـــف عن نواقفها ومفسداتها ، وإخلاص جميع ذلـــك لوجـــه الله سبحانه، رجاء لثوابه ، وخوفا من عقابه . (٢)

وينبه صوفية الإسلام أن على العبد أن يكون قلبه بعـــد الصلاة او الصوم او الزكاة وما إلى ذلك معلقا مضطربـــا بين الخوف والرجاء ، فلايدرى العبد ، اتقبـــل عبادتـــه ام

---

(١) إحياء علوم الدين ، جـ ١ ، ص ١٥٠ .
(٢)إحياء علوم الدين ، جـ ١ ، ص ١٤٩ .

لاتقبل ، فيقول الغزالى عن الصوم ، مطبقا ذلك على كـــل العبادات ، إن من لوازم الإفطار ، أن يكون قلبه ، أى العبد بعد الافطار ، معلقا مضطربا بين الخـــوف والرجـــاء ، إذ ليس يدرى أيقبل صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليـــه فهو من الممقوتين ، وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفـــرغ منها.(١)

ويذكر الغزالى دليلا نقليا يثبت به صدق ماذكره انفـــا ، فيقول : يروى عن حاتم الأصم رضى الله عنه أنه سئل عن صلاته ، فقال : إذا حانت الصلاة ، اســـبغت الوضـــوء ، وأتيت الموضوع الذى اريد الصلاة فيه فـــأقعد فيـــه حتـــى تجتمع جوارحى ، ثم اقوم إلى صلاتى وأجعل الكعبة بيـــن حاجبى ، والصراط تحت قدمى ، والجنـــة عـــن يمينـــى ، والنار عن شمالى ، وملك الموت ورائـــى وأظنـــها آخـــر صلاتى ، ثم أقوم بين الرجـــاء والخـــوف ، وأكبرتكبـــيرا بتحقيق، وأقرأ قراءة بترتيل ، وأركـــع ركوعـــا بتواضـــع وأسجد سجودا بتخشع ، وأقعد علـــى الـــورك الأيســـر ، وأفرش ظهر قدمها ، وانصب القدم اليمنى على الإبـــهام ، وأتبعها بالإخلاص ، ثم لا أدرى ، أقبلت منى أم لا".(٢)

(١) إحياء علوم الدين ، حـــ ١ ، ص ٢١١.
(٢) إحياء علوم الدين ، جـــ ١ ، ص ١٣٥ .

ارتباط الرجاء بالمحبة :

المحبة عند صوفية الإسلام ، حال يجده السالك فى قلبه وقد يحمله هذا الحال على شغل القلب بالحبيب ، والفراغ عن كل حميم وقريب ، والابتهاج بشهود الله تعالى وتعلق القلب به ، معرضا عن الخلق .

ويذهب بعض الصوفية إلى أن هناك اقتران وتلازم بين الرجاء والمحبة ، يقول ابن القيم : "كل محبة ، فهى مصحوبة بالخوف والرجاء".(١)

ورجاء المحب فيما يرى صوفية الإسلام لايصحبه علة ولاسبب ، فالمحب لايريد من محبة الله سوى لقائه والقرب منه والأنس به ، وحول هذا المعنى يقول ابن القيم "رجاء المحب لاتصحبه علة".(٢)

وليس عند المحب سبب أو علة سوى القرب من الله ، والمنزلة عنده ، فرجاء السالك من الله ، رجاء قرب من الله، ومنزلة عنده يرجو وصوله إليها . (٣)

---

(١) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٣١ .
(٢) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٣١ .
(٣) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٣١ .

ويرى صوفية الإسلام أن كل من يتطلع إلى حــب الله ، لابد أن يرجوه ، فكل محب راج خائف بالضرورة ، وذلــك فيمايرى ابن القيم .(١)

والركن الأول فى المحبة فيمايرى بعض الصوفية هــو تخلية القلب عن غير الله ، وهذا هو الإخلاص فى الحــب، فالإخلاص ان يخلص السالك قلبه لله ، فلايبقى فيه شـــرك لغير الله ، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبــه ومقصــود قلبه فقط ، فأحد اسباب ضعف حب الله فى القلــوب ، قــوة حب الدنيا ، ومنه حب الأهل والمــال والولــد والأقــارب وماإلى ذلك .

ويرى بعض الصوفية أن سبيل قلع حب الدنيا والمـــال والبنين من القلب هو ســلوك طريــق الزهــد والصــبر ، والإنقياد إلى الصبر والزهد بزمام الخوف والرجاء ، يقــول أبو حامد الغزالى فى هذا المعنى "سبيل قلع حب الدنيا مــن القلب ، سلوك طريق الزهد ، وملازمة الصبر ، والانقيــاد إليهما بزمام الخوف والرجاء ، فما ذكرناه من المقامــات ، كالتوبة والصبر والزهد والخوف والرجاء هـــى مقدمــات

---

(١) مدارج السالكين ، جـــ ٢ ، ص ٣٠.

ليكتسب بها أحد ركنى المحبة ، وهو تخلية القلب عن غير الله ، حتى يسع بعده لنزول معرفة الله وحبه فيه".(١)

والرجاء يكون قبل اللقاء والوصول والمعرفة الإلهية وتمام الحب الإلهى ، وهنا يختلف المحبون ، هل يبقى الأشتياق عند لقاء المحبوب ، أم يزول ، فمن الصوفية من يرى أن الإشتياق يزول ، لأنه إنما يكون مع الغيبة وهو (أى الاشتياق) سفر القلب إلى المحبوب ، فإذا انتهى السفر واجتمع بمحبوبه ، فإن الاشتياق يزول .

وهناك من الصوفية من يرى أن الاشتياق يزيد باللقاء، لأن الحب يقوى بمشاهدة جمال المحبوب.(٢)

وعلى الجملة ، إن هذا الاشتياق الذى هو ثمرة الحب، الباعث عليه رجاء لقاء الله تعالى ، وحول هذا المعنى يقول الهروى :"رجاء لقاء الخالق ، الباعث على الاشتياق ، المبغض للعيش".(٣)

والسالك فيما يرى الصوفية يرجو الله تعالى قبل لقائه والوصول إليه ، فهل ينقطع الرجاء من السالك بعد اللقاء ،

---

(١) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ٢٧٣ .
(٢) راجع ، مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ٣٦
(٣) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٣٩ .

وهنا يجيب إبن القيم بأنه لاينقطع ، بل يشتد الرجاء ، فــهو يقول "إنه (أى : العبد)، يرجو قبل لقائه والوصول إليـــه ، فإذا لقيه ووصل إليه ، إشتد رجاؤه له ، لما يحصل له بـــه من حياة روحه ، ونعيم قلبه من ألطاف محبوبه ، وبـــره ، وإقباله عليه ، ونظره إليه بعين الرضا".(١)

الرجاء إذن هو الطريق الموصل للمحبة ، فإنـــه كلمـــا اشتد رجاء السالك ، وحصل له مايرجوه ، إزداد حبـــا لله تعالى ، وشكرا له ، ورضا به ، وذلك فيمـــا يـــرى ابـــن القيم.(٢)

هذا هو حب العبد لله ، اما حب الله للعبد ، فـــهو أنـــه يحب من العباد أن يرجوه ، ويسألوه من فضله ، فـــإذا لـــم يرجو العبد الله تعالى ، فإنه يغضب عليه ، واستمع إلى ابن القيم وهو يقول فى هذا المعنى :"إنه سبحانه يحب من عباده ان يؤملوه ، ويرجوه ، وليسألوه من فضله ، لأنـــه الملـــك الحق الجواد ، أجود من سئل ، وأوسع من أعطى أن يرجى ويؤمل ويسأل ".(٣)

---

(١) مدارج السالكين ، جـ ٢ ، ص ٣٠ .
(٢) مدارج السالكين ن جـ ٢ ، ص ٣٦ .
(٣) مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٣٦ .

ارتباط الرجاء بالتوكل :

التوكل عند صوفية الإسلام ، هو تعلق القلب بالله ، والطمأنينة إلى كفايته واستناده إليه وسكونه ، بحيث لايبقى فيه اضطراب أو حركة .

ويرى بعض الصوفية أنه قد يصح التوكل مع الرجاء والأمل في الحياة وطول البقاء . للقيام بخدمة الله تعالى وعبادته وطاعته ، أما إذا كان امل السالك للحياة متعة نفسه وأخذ حظوظها من الدنيا ، فإن ذلك ينقص من التوكل ، وإلى هذا المعنى يورد المكى هذه الحكاية ، لإثبات صحة ماذهب إليه ، فيقول : "حدثونا عن بعض أصحاب بشر بن الحارث ، قال : كنت عنده ضحوة النهار ، فدخل عليه كهل أسمر خفيف العارضين ، فقام إليه بشر ، قال : وما رأيته قام لأحد غيره، قال : ودفع كفا من دراهم ، فقال : اشترلنا من طيب ماتقدر عليه من الطعام الطيب ، قال : وما قال لى قط مثل ذلك ، قال فجئت بالطعام فوضعته بين يديه ، فأكل معه ، وما رأيته اكل مع غيره ، قال : فأكلنا حاجتنا ، وبقى من الطعام شئ كثير ، فأخذه الرجل ، فجمعه في ثوبه، فجعله تحت يده وانصرف ، قال : فعجبت من فعل ذلك ، وكرهته له ، إذ لم يأمره بشر بذلك ولا هو استأذنه فيه ، فقال لى بشر بعد ذلك : لعلك ذكرت فعله ذلك ، قلت:

نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن ، فقال : تعرفه ؟ قلـــت : لا قال : ذلك أخونا (فتح الموصلـــى) زارنـــا اليـــوم مـــن الموصل وإنما أراد أن يعلمنا أن التوكل إذا صح ، لم يضر معه الادخار . وترك الادخار إنما هو حال من مقامه (قصر الأمل) ، وقد يصح التوكل مع تأميل البقاء ، فإن كان أملـــه (أمل السالك) للحياة ، لطاعة مولاه وخدمته والجـــهاد فـــى سبيل الله ، فضل ذلك ، وهـــذا طريـــق طائفـــة الراجيـــن والمستأنسين ، وإن كان أمله للحياة ، لأجل متعة نفسه وأخذ حظوظها من دنياه ، نقص ذلك من زهده فى الدنيا ، فسرى النقص إلى توكله".(١)

والمتوكل على الله فيما يرى الصوفية لايرجو إلا لقـــاء الله تعالى ، ولايرجو أى شئ سواه وحول هذا المعنى يقـول القشيرى : المتوكل بالله سبحانه يرجو لقـــاء الله ، والنظـــر إليه".(٢)

ويشترط بعض الصوفية على السالك شروطا، لابد منها للثبات على مقام التوكل ، وهى حسن الظن بالله ، وجميـــل

---

(١) قوت القلوب ، جـ ٢ ، ص ١٨ ، ١٩ .
(٢) لطائف الإشارات ، جـ ٤ ، ص ٨٩ .

الأمل ، ودوام الرجاء ، وذلك فيمـــا يـــرى عبـــد الكريـــم القشيرى.(١)

ولايكون التوكل صحيحا فيما يرى القشـــيرى ، إلا إذا كان الرجاء حسنا ، فهو يقول فى هذا المعنى "التوكل هـــو التوفى بالله بحسن الرجاء".(٢) والرجاء الحسن أو الصحيـــح هو الذى يقارنه العمل الجيد . أو انه طمع يصحبه عمـــل ، وإلا كان رجاء كاذبا ، او أمنية . أو غرورا .

ويرى صوفية الإسلام أن هناك مرتبة فى التوكل ، بـــها ينكشف للسالك أن لافاعل إلا الله تعالى ، وأن كل موجـــود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت ، وغنى وفقر ، وإلى غير ذلك مما ينطلق عليـــه إســـم فـــالمنفرد بإبداعـــه واختراعه هو الله عز وجل ، لاشريك له فيه ، فإذا انكشـــف للسالك هذا ، لم ينظر إلى غيره ، بل كان منه خوفه وإليـــه رجاؤه .(٣)

---

(١) لطائف الإشارات ، جـــ ٣ ، ص ١٥٨ .
(٢) لطائف الإشارات ، جـــ ٣ ، ص ٢٩٩ .
(٣) إحياء علوم الدين ، جـــ ٤ ، ص ٢١٣ .

ارتباط الرجاء بالخوف :

الخوف عند الصوفية يعنى تألم القلب واحتراقه ، بسبب توقع مكروه فى الاستقبال .(١)

ويربط الصوفية بين الرجاء والخوف ، فالسهروردى البغدادى يوضح لنا هذه العلاقة بين الرجاء والخوف ، مطبقا ذلك علم التوبة قائلا : "الخوف والرجاء مقامان شريفان من مقامات أهل اليقين ، وهما كائنان فى صلب التوبة النصوح ، لأن خوفه ، (أى : خوف التائب) حمله على التوبة ، ولولا خوفه ماتاب ، ولولا رجاؤه ماخاف ، فالرجاء والخوف متلازمان فى قلب المؤمن ، ويعتدل الخوف والرجاء للتائب المستقيم فى التوبة ".(٢)

ويذهب بعض الصوفية أنه عند مشاهدة التجليات الإلهية، وكان السالك خائفا ، فإنه تظهر عليه احكام الخوف عند مشاهدة التجلى ، وحينئذ يسمى السالك خائفا ، لغلبة الخوف عليه ، وكان الرجاء متضمنا فى خوفه ، أما إذا ظهر الرجاء ، فإن السالك يكون راجيا ، وتظهر عليه احكام الرجاء عند مشاهدة تجلى الربوبية ، وعندئذ يتضمن الخوف فى رجائه ، يقول أبو طالب المكى : "إذا ظهر

---

(١) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٢٤ .
(٢) عوارف المعارف ، جـ ٤ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

الخوف ، كان العبد خائفا ، وظهرت عليه أحكام الخـــوف عند مشاهدة التجلى ، بوصف مخوف ، فسمى العبد خائفــا ، لغلبته عليه، وبطن الرجاء فى خوفه ، وإذا ظهر الرجاء ، كان العبد راجيا ، وظهرت عليه أحكـــام الرجـــاء ، عنـــد مشاهدة تجلى الربوبية بوصف مرجو ، فوصف العبد بـــه ، لأنه هو الأغلب عليه ، وبطن الخوف فى رجائه ، لأنـــهما وصفان للإيمان ، كالجناحين للطير ، فالمؤمن بين الخـــوف والرجاء، كالطائربين جناحيه ".(١)

ومما سبق نصل مع صوفية الإسلام إلى قاعدة اخلاقيـــة هامة ،يجب أن نتمسك بها فى مجتمعنا ، وهى أنه إذا غلـــب الرجاء على الخوف ، فسد الوقت وذلك فيما يـــرى شـــقيق البلخى.(٢) بحيث نصل إلى مقام يسميه الصوفية (الإشفاق): وهو اتحاد الخوف بالرجاء واعتدالهما (٣) فيما يقول الغزالى وإذا كان الأمر كذلك ، فإن السالك إذا لم يقـــم فـــى مقـــام الخوف ، فإنه كذلك لم يرفع إلى مقامات أهل الرجاء علـــى صحة وصفاء .(٤)

---

(١) قوت القلوب ، ص ٢١٦ .
(٢) طبقات الصوفية ، ص ٤٠ .
(٣) روضة الطالبين ، ص ٢٤٢ .
(٤) عوارف المعارف ، جـــ ٤ ، ص ٢١٥

ويذهب صوفية الإسلام إلى أن : رجاء كل عبد من حيث خوفه ومكاشفته عن أخلاق مرجوه ، من معنى ما كان كوشف به من صفات مخوفه ، فإن كان أقيم مقام المخوفات من المخلوقات : مثل الذنوب والعيوب والأسباب، رفع من حيث تلك المقامات إلى مقامات الرجاء ، بتحقيق (الوعد) وغفران الذنب ، وتشويق الجنان ومافيها من اوصاف الحسان .(١)

ويذهب صوفيه الإسلام كذلك إلى أن السالك للطريق الصوفى ، إذا حمل نفسه على الرجاء ، فإنه يتعطل وذلك لانصرافه إلى السؤال والطلب بحيث لايقوم بالأعمال والأسباب التى تحقق رجاءه ، أما إذا حمل نفسه على الخوف ، فإنه يكون يائسا ، والرأى عند الصوفية أن السالك يكون مرة متحقق فى الرجاء ، ومرة يكون متحقق بالخوف ، واستمع إلى ابو عثمان سعيد بن سلام وهو يقول فى هذا المعنى "من حمل نفسه على الرجاء تعطل ، ومن حمل نفسه على الخوف قنط ، ولكن ساعة وساعة ، ومرة مرة ".(٢)

---

(١) انظر ، عوارف المعارف ، جـ ٤ ، ص ٢١٥ .
(٢) انظر ، طبقات الصوفية ، ص ٦٢ .

تحدثنا فى هذا الفصل عن ارتباط الرجـــاء بالمقامـــات والأحوال مثل الزهد والتوبة والتوكـــل والصـــبر والشـــكر والمحبة والخوف ، وسوف نتحدث فى الفصل القادم عـــــن ارتباط الرجاء بالمعرفة .

الفصل الرابع

ارتباط الرجاء بالمقامات والأحوال

الفصل الرابع

ارتباط الرجاء بالمقامات والأحوال

(١) تمهيد.

(٢) ارتباط الرجاء بالزهد .

(٣) ارتباط الرجاء بالتوبة .

(٤) ارتباط الرجاء بالصبر والشكر .

(٥) ارتباط الرجاء بالمحبة .

(٦) ارتباط الرجاء بالتوكل .

(٧) ارتباط الرجاء بالخوف .

الفصل الرابع

ارتباط الرجاء بالمقامات والأحوال

١- تمهيد :

بينا فى الفصل السابق اصطناع المريد لرياضات عملية كالذكر والعزلة والخلوة والسماع والصحبة ، كما وضحنا كذلك اصطناع المريد للصمت والجوع والسهر ، كى يتهيأ قلبه للفناء عن شهود السوى ، والتحقق بالمعرفة الإلهية ، وربطنا كل ذلك بمقام الرجاء عند صوفية الإسلام .

وسوف نوضح فى هذا الفصل مقامات الطريق وأحواله، ونفصل الكلام فيه عن معنى المقامات ، كالزهد والتوبة والصبر والشكر والتوكل ، ثم نتكلم عن الأحوال ، كالخوف والحب ، والأنس والفناء ، ونبين ارتباط كل ذلك بالرجاء عند الصوفية .

والمقامات عند صوفية الإسلام ، هى مايثبت السالك عليه من فضائل الأخلاق ، وذلك بفضل الله تعالى ، فإذا أقام الله السالك على مقام من المقامات ، كالزهد مثلا ، فإنه يثبت عليه ، أما إذا قام السالك على المقام دون الفضل الإلهى والعناية الإلهية ، فإنه يسقط عنه ، ولا يعنى ذلك أنه

ليس للسالك إرادة فى المقام ؛ فإن الدخول فى المقام تتجلى فيه إرادته .

ونوضح ذلك فى مقام كالتوبة مثلا ، ففى حال التوبة ، يتجلى تماما ترك مراد السالك لمراد الله تعالى ، فتكون إرادته من إرادة الحق ، وهذا هو أول الدخول فى التوبة ، وفى هذا الحال يكون السالك متلونا ، فنفسه تدعوه إلى ترك التوبة ، ثم تدعوه إلى التمسك بها،وهذه هى النفس الأمارة ، ثم بعد ذلك يصل إلى التمكن عن طريق النفس المطمئنة ، فيستقر تماما فى هذا المقام ، وهكذا يكون السالك فى هذا الحال بين تلون وتمكن ، إلى أن يثبت ويستقر فى مقام التوبة،وهذا يعنى أن الشئ قد يكون حالا ، ثم يصير مقاما ، وقد تواضع الصوفية على أن الترقى فى المقامات ، هو السلوك ، فالصوفى أو السالك الذى يضع قدمه فى أول الطريق ، طالبا الوصول إلى الله تعالى ، يسمى سالكا ، وهو يمر بمراحل مختلفة أثناء سلوكه ؛ للوصول إلى مقصوده وهو الله ، والتحقق بالمعرفة الإلهية .

وفيما يلى صورة نوضحها للسالك بين مقامات الطريق وأحواله ، وارتباطها بمقام الرجاء عند صوفية الإسلام ، وأولها مقام الزهد .

٢ـ ارتباط الرجاء بالزهد :

الزهد عند الصوفية ، هو الإنصراف عن الدنيا ، ، والدنيا هي كل ما قرب إلى قلب السالك ، سواء كان ذلك ماديا ، كالانغماس في الشهوات والملذات ، أو روحيا كالكبر وحب الرئاسة وغيرها ، وقد سئل الجنيد عن الزهد فقال :" زوال الرغبة عن القلب ، ووجود العزوف والانصراف عن ذكر ذلك " (١)ويرتبط معنى الرجاء بمقام الزهد عند صوفية الإسلام ، فمن المريدين من زهد في الدنيا ، رجاء موعود الله تعالى في الآخرة وهو الثواب والنعيم واللذات الموعودة في الجنة من الحور ، والقصور وغيرها ، وينعت الصوفية هذا النوع من الزهد (زهد الراجين) ....، يقول أبو حامد الغزالي عن هذا النوع من الزهد : " أن يزهد (المريد) رغبة في ثواب الله ، ونعيمه ، واللذات الموعودة في جنته من الحور والقصور وغيرها ، وهذا زهد الراجين ، فإن هؤلاء ما تركوا الدنيا قناعة بالعدم والخلاص من الألم ، بل طمعوا في وجود دائم ، ونعيم مسرمد لا آخر له "(٢) .

---

(١) أنظر ، قوت القلوب ، ط ، ص ٢٦٩ .

(٢) أنظر ، إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ،١ .

واللذات الموعودة فى الجنة عند الصوفية هى زينة الجنـــة وأشربتها ، والمطاعم اللذيذة والفواكه ، يقول الغزالـــى أن الزاهد الراجى " ترك التفرج فى البساتين طمعا فى أشـــربة الجنة ، وترك التزين والتجمل بزينة الدنيا طمعا فى زينـــة الجنة ، وخوفا من أن يقال له : (أذهبتم طيباتكم فى حيـــاتكم الدنيا ؟) فأثر جميع ذلك ما وعد به فى الجنة على ما تيسـو له فى الدنيا عفوا وصفوا ؛ لعلمه أن ما فى الآخـــرة خـــير وأبقى ، وأن ما سوى هذا فمعاملات دنيوية لا جدوى لـــها فى الآخرة " (١) فإذا تحقق للمريد ذلك ، فـــإن الله يرزقـــه الإشراف على الآخرة ، والنظر إليها بقلبه ، فحينئذ يجد فى العمل بتقصير الأمل ، وتقريب الأجل ؛ لأن الأسباب عـــن قلبه منقطعة ، والقلب منفرد بالآخرة ، وحقيقة الزهـــد قـــد خلصت إلى قلبه"(٢) على حد قول أبى طالب المكى .

والذى يبعث على الزهد عند الصوفيـــة ، قصـــر الأمـــل ، ومعنى قصر الأمل أن ينظر المريد إلى يومه فقط ، لأنـــه يرى أن غدا ليس من أيام عمره ، فإذا تحقق المريد بذلـك ، زهد فى الدنيا ، وأعرض عن متاعها ، وصار رجاؤه فيمـــا هو أبقى ، وصار شغله فى نعيم الآخـــرة ، وحـــول هـــذا

---

(١)أنظر ، قوت القلوب ، حـــ ١ ، ص ٢٦٩ .

(٢) قوت القلوب ، جـــ ١ ، ص ٢٦٩.

المعنـــى يقــول الحـــارث المحاســبى (المتوفـــي عــــام ٢٤٣هــ):"الذى يبعث على الزهد فى الدنيا قصر الأمـــل ، والجد فى العمل ، فإذا قصر (المريد) أمله ، وزهــــد فـــى حبس الأموال ، نظر إلى الإشياء بالزوال ، فمن لم ينظـــر إلا إلى يومه ، ورأى أن غدا أن غدا ليس من أيام عمره، لم يطل أمله ، ولم يقصر فى عمله".(١)

وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الرجاء طريق الزهاد ، فلما كان أحد معانى الرجاء هو ارتياح القلب لانتظار محبـــوب فى المستقبل ، ولما كان الصوفى أبو مدين يذهب إلى القول بأن الزاهد فى راحة.ولما كان عمر رضى الله عنـــه عـــبر عن هذا المعنى بقوله "الزهادة فـــى الدنيـــا راحـــة القلـــب والجسد"(٢) فإن ذلك يعنى أنه إذا فرغ قلب المريد من اشغال الدنيا وحبه لاستزاده منها ، اقامه الله تعالى بتأدية الطاعات.

٣. ارتباط الرجاء بالتوبة:

التوبة عند الصوفية تعنى الرجوع عما كان مذموما فى الشرع إلى ما هو محمود فيه .(٣) ويرتبط الرجاء بالتوبـــة عند صوفية الإسلام ، فالذنب ينقسم إلى ما بين العبد وبيـــن

---

(١) سرح حكم أبى مريد ، ص ٧٢ .
(٢) شرح حكم ابى مدين ، ص ٧٢ .
(٣) أنظر الرسالة القشيرية ، ص ٣٥ .

الله تعالى ، وإلى ما يتعلق بحقوق العباد ، ويرى الغزالـــى أن الذنوب التى تقترف من المريد فـــى حـــق الله تعـــالى ، باستثناء الشرك به ، تكون قابله لرجائـــه ، وفيـــها يطلـــب المذنب من الله تعالى ويرجوه العفو والمغفرة ، واستمع إلـى الغزالى وهو يقول حول هذا المعنى :" الذنوب تنقسم إلى ما بين العبد وبين الله ، وإلـــى مـــا يتعلـــق بحقـــوق العبـــاد ...."(١) ثم يستطرد الغزالى قائلا:"وما بين العبد وبيـــن الله تعالى إذا لم يكن شركا ، فالعفو فيه أرجى وأقـــرب ".(٢)

وللتوبة فيما يرى الصوفية شروطا ، هى :

١- الندم على ما تقدم من الذنوب .

٢- ترك الذنوب فى الحال .

٣- العزم على عدم العودة إلى مثل هذه الذنوب وغيرها فى المستقبل .

٤- تخوف العقاب عليه .

٥- حب الإقلاع عن الذنوب .

٦- رجاء المغفرة .

وهذه الشروط لابد منها ، وإلا فـــلا تصـــح التوبـــة ، فالواجب على المريد عدم الاستعانة بالذنوب والمعـــاصى ؛

---

(١) إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٤ .

(٢)إحياء علوم الدين ، جـ ٤ ، ص ١٤ .

لأنه إذا استهان بها ، لم يندم عليها ، ولذلك فإن أبا مدين مثلا يسأل الله أن يسامح عبده المذنب ؛ لأنه نادم على ما اقترف من الذنوب قائلا :

وسامحه إنه على الذنب نادم ∴ قضاؤك مقضى وحكمك جازم(١)

والم الندم فيما يرى الصوفية ، كلما كان أشد كان تكفير الذنوب به أرجى على حد قول الغزالى . (٢)

ومن شروط التوبة الصحيحة عندالصوفية ، أن يعقد السالك العزم على عدم العودة إلى المعاصى التى كان قد ارتكبها ، والله أرحم الراحمين ، فقد سبقت رحمته غضبه ، وحلمه عقوبته ، وعفوه مؤاخذته ، وكتب على نفسه الرحمة والعفو والإحسان والفضل ، والتوفيق للتوبة ، يقول الغزالى فى هذا المعنى : " أما العاصى : فإذا تاب وتدارك جميع ما فرط منه من تقصير ، فحقيق بأن (يرجو) قبول التوبة .(٣) ولا يجب على العاصى أن يصر على المعصية والذنوب ، فقد يكون سبب إصراره على الذنوب نتيجة اليأس وعدم

---

(١) قصيدة : إذا أنا من زاد التقى كنت معسرا ، البستان ، ص ١٤ .
والندم فى اصلاح الصوفية هو : توجع القلب عند شعوره بفوات المحبوب وعلامته طول الحسرة والحزن ، أنظر إحياء علوم الدين ، حـ٤ ،ص ٣٠.

(٢) إحياء علوم الدين ، حـ٤ ، ص ١٤ .

(٣) إحياء علوم الدين ، جـ٤ ، ص ١٢٤ .

الرجاء فى علاج هذا الإصرار ، لكنه يريد التوبة ، فعلاج هذا العاصى يكون بأسباب الرجاء ، يقول أبو حامد الغزالى فى هذا المعنى :"وكذلك المصر على الذنوب ، المشتهى للتوبة ، الممتنع عنها بحكم القنوط واليأس ، استعظاما لذنوبه التى سبقت ، يعالج – أيضا – بأسباب الرجاء ؛ حتى يطمع فى قبول التوبة ، فيتوب "(١) ولا تقبل التوبة للعاصى إلا إذا كره المعصية ، ولام نفسه ؛ واشتاق التوبة ، فإذا قام بذلك كله ، فعليه أن يرجو من الله التوفيق للتوبة ، لأن كراهية العاصى للمعصية ، وحرصه على التوبة ، يعتبر من الأسباب التى تؤدى بالعاصى إلى التحقق بالتوبة ، يقول الغزالى حول هذا المعنى :"وأما قبول التوبة ، إن كان كارها للمعصية ، تسوءه السيئة ، وتسره الحسنة ، وهو يذم نفسه ويلومها ويشتهى التوبة ويشتاق إليها ؛ فحقيق بأن يرجو من الله التوفيق للتوبة "(٢).

ويرى بعض الصوفية أن من ينهمك فيما يكرهه الله تعالى ، ولا ندم نفسه عليه ، ولا يعزم على التوبة والرجوع ، فرجاؤه المغفرة حمق ، كرجاء من بث البذر فى أرض سبحنة ، وعزم على أن لا يتعهد بسقى ولا تنقية ، وحول

(١) إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ٤٥ ، ٤٦ .
(٢) أنظر ، إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ١٢٥ .

هذا المعنى يقول يحيى بن معــاذ الــرازى :"مــن أعظــم الاغترار عندى ، التمادى فى الذنوب ، مع رجاء العفو مــن غير ندامه ، وتوقع القرب من الله تعــالى بغــير طاعــة ، وانتظار زرع الجنة ببذر النــار ، وطلــب دار المطيعيــن بالمعاصى ، وانتظار الجزاء بغير عمل ، والتمنى علــى الله عز وجل مع الإفراط" (١) ويذهب صوفية الإسلام إلـــى أن الخوف والرجـــاء متلازمـــان وضروريـــان فـــى التوبـــة الصحيحة، ومن الضرورى أن يعتدل الخوف والرجاء عنــد التائب ، وحول هــذا المعنـــى يقــول الســهروردى ودى البغدادى : "الخوف والرجاء مقامان شريفان مـــن مقامـــات أهل اليقين ، وهما كائنان فى صلب التوبة النصـــوح ، لأن خوفه حمله على التوبة ، ولولا خوفه مـــا تـــاب ، ولـــولا رجاؤه ما خاف،فالرجاء والخـــوف متلازمـــان فـــى قلـــب المؤمن، ويعتدل الخوف والرجاء للتـــائب المســتقيم فـــى التوبة"(٢) ويقسم صوفية الإسلام العباد فى التوبة ، فـــهناك العاصى الذى يتوب ويستقيم على التوبة ، ويتدارك ما فرط من ذنوب ، ولا يريد العودة إلى الذنـــوب ، إلا الـــزلات ، ولما كان أحد معانى الرجاء ، انشراح الصدر بأعمال البر ، وسرعة السبق ، والمبادرة بها خوف فوتها ، ورجاء قبولها،

---

(١) إحياء علوم الدين ، حــ٤ ، ص ١٢٥ .
(٢)عوارف المعارف ، حــ ٤ ، ص ٢٧٧ ، ٢٧٨ .

ثم مهاجرة السوء ومجاهدة النفس رجاء انتجاز الموعـود(١)، فإن صاحب هذه التوبة من أصحـــاب الرجـاء السـابقين بالخيرات .

ويرى صوفية الإسلام أن من العـاصين مـن يتـوب ويستمر على الاستقامة مدة ، تغلبه الشـهوة فـي بعـض الذنوب ، فيقدم عليها عن صدق وقصد شهوة ؛ لعجزه عـن قهر الشهوة ؛ إلا أنه مع ذلك مواظـب علـى الطاعـات ، وتارك جملة من الذنوب مع القدرة ،والشهوة ، وإنما قهرتـه هذه الشهوة الواحدة أو الشهوتان ، وهو يـود لوأقـدره الله تعالى على قمعها ، وكفاه شرها "(٢) .

ويرى صوفية الإسلام أن صاحب هذه التوبة من الذين قـال الله تعالى فيهم :(وآخرون اعترفوا بذنوبهم ، خلطوا عمـلا صالحا وآخر سيئا)(٣) ، فهو من التائبين الراجيـن الله أن يغفر لهم ، ويعفو عنهم ، وحول هذا المعنى يقول الغزالى:" فأمره من حيث مواطنته على الطاعـات ، وكراهتـه لمـا تعاطاه (مرجو) ، فعسى الله أن يتوب عليه " (٤)

---

(١) قوت القلوب ، حـ١ ، ص ٢١٨ .
(٢)إرجع إلى ، إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ٤٠ .
(٣) سورة التوبة آية ١٠٢.
(٤) إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ٤٠ .

أما العاصى الذى غلب عليه الخـــوف - فيمــا يـــرى الصوفية ، حتى هجر الدنيا بالكلية ، وكلف نفســـــه مــا لا تطيق ، وضيق العيش على نفسه بالكلية ، فتكســـر ســـورة إسرافه فى الخوف بذكر أسباب الرجـــــاء ، ليعــود إلـــى الإعتدال ، على حد قول الغزالى (١).

وعلى الجملة ، إن العاصى إذا أراد التوبة ، فعارضـــه اليأس الذى يصده عن التوبة ، فعليه أن يذكر نفسه بـــالجود والكرم والفضل الإلهى ، وما وعد الذين يريدون التوبة بأنه غفار لمن تاب وآمن ، وأنه غفور رحيم لمن تـــاب إليـــه ، وهذا يعنى أنه إذا كان هناك عاصيـــا مغـــترا ، عارضـــه اليأس، فينبغى عليه قمع هذا اليأس بالرجـــاء ، لأن اليـــأس معصية هو الآخر ؛ ولأنه إذا جمع بين الذنب واليأس فإنـــه يكون قد جمع بين ذنبين ، ولأن الله تعالى جعـــل الرجـــاء مزيلا لليأس ، يقول الحارث بن أسد المحاسبى حول هـــذا المعنى :"قد يكون العبد عاصيا مغترا ، فإن عارضه القنوط قمعه بالرجاء ؛ من أجل التوحيد ، فقمع به (أى بالرجـــاء) القنوط الذى هو معصية لمـــولاه ، لئـــلا يجمـــع معصيـــة وقنوطا، فيكونا ذنبين ، فإن طيب بعد ذلـــك نفســـه بذكـــر الرجاء فجرأه على المقام على معاصى الله عز وجل ، فقـــد

(١) إحياء علوم الدين ، حـــ ٤ ، ٤٥ .

أغتر بالله عز وجل ؛ لأن الله عز وجل جعل الرجاء مزيـلا للقنوط ، الذى يمنع من الأمن "(١).

ويتحسر بعض صوفية الإسلام على فقد العلمـاء فـى عصرهم ، فهم قد مرضوا مرضا شديدا ، وهو عجزهم عن علاج العاصين ، وهم قد اضطروا إلى إغـواء الخلـق ، والإشارة عليهم بما يزيدهم فى المعـاصى وحـب الدنيـا ، واستمع إلى الغزالى وهو يقول فى هذا المعنـى :" ياليتـهم سكتوا وما نطقوا ، فإنهم إذا تكلموا ، لم يهمهم فى مواعظهم إلا ما يرغب العوام ويستميل قلوبهم ، ولا يتوصلون إلـى ذلك إلا بالإرجاء وتغليب أسباب الرجاء ، وذكـر دلائـل الرحمة ؛ لأن ذلك ألذ فى الأسماع ، وأخف على الطباع"(٢)

٣- ارتباط الرجاء بالصبر والشكر

الصبر عند صوفية الإسلام ، ترك الشكوى مـن ألـم البلوى لغير الله ، لا إلى الله ، وانتظار الفرج من الله تعالى، وهذا يعنى ، الصبر فى البلاء ، وانتظار روح الفرج مـن الله تعالى ولما كان أحد معانى الرجاء عند صوفية الإسلام، هو انتظار ما هو محبوب فى المستقبل ، ولما كـان هـذا

(١) أنظر ، الرعاية لحقوق الله ، ص ٣٨٢ .
(٢) إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ٤٦ .

الانتظار كان نتيجه حصول أكثر أسـبابه ، وهـو تـرك الشكوى من ألم البلوى ، فإن نتيجة ذلك هو ارتياح القلـب لانتظار الفرج من الله ؛ فإن انتظاره يخفف حمل المشـقة ، ولا سيما عند قوة الرجاء ، يقول ابـن القيـم حـول هـذا المعنى:"انتظار روح الفرج ، يعني راحته ونسيمه ولذتـه ، فإن انتظاره ، ومطالعته وترقبه ؛ يخفف حمل المشـقة ولا سيما عند قوة الرجاء "(١).

ويذهب صوفية الإسلام إلى أن هناك نوعا من الرجـاء في ارتباطه بالصبر ، وهو ، الصبر لله ، وهذا الصبر ، هو صبر فيما هو حق لله الباعث عليـه رجـاء ثـواب الله ، واستمع إلى السـهروي وهـو يشـير إلـى هـذا المعنـى للصبر:"الصبر لله وهو صبر العامة "(٢) ، ويحلل ابن القيـم هذا المعنى للصبر فيقول :"إن صبر العامة لله ، أي رجـاء ثوابه، وخوف عقابه "(٣) ويذهب بعض صوفية الإسلام إلـى أن الرجاء والخوف يقويان على الصبر ، فإن الجنـة قـد حفت بالمكاره ، ولا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجـاء ،

---

(١) مدارج السالكين ، ح٢ ، ص ١٢٤ .
(٢) مدارج السالكين ، ح٢ ، ص ١٢٥ .
(٣) مدارج السالكين ، حـ٢ ، ص ١٢٥ .

والنار جفت بالشهوات ، ولا يصير على قمعــــها إلا بقــوة الخوف ، على حد قول أبى حامد الغزالى .(١)

ولما كان من معانى الرجاء عنـــد الصوفيـــة ، توقـــع النجاه، ورجاء الثواب (٢) ، فإن العبد لما آمن بـــالله تعـــالى وصدق قول الله تعالى فيما وعده به ، رغب فى ثـــواب الله تعالى الذى وعده ، وعزم على طلب النجاه ، وأمـــل فـــى الظفر بما يرجوه ، فيسكن الرجاء قلبه ،وصبر ومضى فـــى تنفيذ عزيمته ، وعندئذ استحق إسم الصبر ، وحـــول هــذا المعنى يقول أبو سعيد الخراز :"إن العبد لما آمن بالله تعالى وصدق قوله فى الذى وعده وتواعده ، قامت فى قلبه الرغبة فى ثواب الله تعالى الذى وعده ولزمت قلبه الخشـــية مــن عقاب الله الذى تواعده، وصحت عنده تلك الرغبة ، وقـلمت عزيمته فى طلب النجاة مما يخافه وهاجت آماله فى الظفــر بالذى يرجوه ، فجد عند ذلك فى طلب النجاة مما يخافـــه ، وهاجت آماله فى الظفر بالذى يرجوه ، فجد عند ذلك فـــى الطلب والهرب ، فسكن الخوف والرجاء قلبه ، فركب عنــد ذلك مطية الصبر ، وتجرع مرارته عند نزوله ، ومضـــى فى إنقاذ العزائم ، وحذر من نقصها ، فوقـــع عليـــه إســم

(١) إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ١٤٥ .
(٢) جامع الأصول ، ص ٣٤١ .

الصبر"(١) ولما كان من معانى الرجاء كذلك ، توقع نـــزول السكينة عند وقوع البلية ، وانتظار الطمأنينة عنـــد نـــزول السكينة (٢) فإن السكينة إذا باشرت قلـــب الســـالك ، فإنـــها تسكن خوفه وتزيل قلقه واضطرابه ، وحول هـــذا المعنـــى يقول ابن القيم :"إذا باشرت هذه الســـكينة قلبـــه ، ســـكنت خوفه"(٣) وهذا أحد معانى الرجاء عند صوفية الإسلام .

أما المعنى الآخر للرجاء وارتباطه بالسكينة والطمأنينـــة ، وهو انتظار الطمأنينة عند نزول السكينة ، فـــإن صوفيـــة الإسلام يرون أن السالك الخائف نتيجة الآثار التى رتبتـــها البلوى فى نفسه ، فإن الله تعالى يـــنزل عليـــه الســـكينة ، فيستريح قلبه إلى الرجاء ، وهو انتظار المثوبة ، يقول ابـــن القيم فى هذا المعنى :"إن الخائف إذا طال عليـــه الخـــوف واشتد به ، وأراد الله عز وجل أن يريحه ، ويحمل عنـــه ، أنزل عليه السكينة ، فاستراح قلبه إلى الرجاء واطمأن بـــه ،

---

(١) أبو سعيد الخراز ، الطريق إلى الله أو الصدق ، دار الإنسان ، القاهرة، ١٩٧٢م ، ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) أنظر ، جامع الأصول ، ص ٣٤١ . والسكينة عند الصوفيـــة : هـــى السكون الذى ينزله الله فى قلب عبده عند اضطرابه ، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه ، أما الطمأنينة فهى سكون يقويه أمن صحيح شبيه بالعيان ، أنظر ، مدارج السالكين ، جـــ٢ ، ص ٣٧٦ ، ٣٨٤ .

(٣) مدارج السالكين ، ج٢ ، ص ٣٨٠ .

وسكن لهيب خوفه "(١) ويرى بعض الصوفية أن المتبلى إذا قويت مشاهدته للمثوبه ، سكن قلبه واطمأن بمشاهدة العوض ، وإنما يشتد بنه البلاء إذا غاب عنه ، بملاحظة الثواب ، وقد تقوى ملاحظة العوض حتى يستلذ بالبلاءه ويراه نعمة ، وذلك فيما يرى ابن القيم (٢)

هذا هو رأى صوفية الإسلام فى ارتباط الرجاء بالصبر، أما عن ارتباط الرجاء بالشكر ، فإن الصوفية يذهبون إلى أن الشكر هو الاقبال على الله تعالى ، والثناء عليه ، والتحدث بنعمه ، وشكره فى السراء والضراء .

ولما كان أحد معانى الرجاء عند الصوفية ، المسارعة والمسابقة إلى الأعمال الصالحة والخيرات والطاعات ، فإن بعض الصوفية يذهب إلى أن للشاكرين طريقين ، أولهما شكر الراجين : وهو حسن المعاملة لما أملوه ورجوه من ظواهر النعم ، فعملوا ؛ رجاء اتمامها ، فكان حالهم : المسارعة والمسابقة إلى الأعمال الصالحة ، شكرا لما ابتدأهم به وخصهم (الله تعالى) ، دون سائر خلقه ، وذلك على حد قول أبى طالب المكى .(٣)

---

(١) أنظر ، مدارج السالكين ، حـ ٢ ، ص ٣٨٦ .
(٢) مدارج السالكين ، جـ٢ ، ص ٣٨٦ .
(٣) أنظر ، قوت القلوب ، ح١ ، ص ٣٠٧ .

وهناك مرتبة أخرى للشكر عند صوفية الإسلام ، وهى: الفرح بالمنعم دون النعيم ، مع الخضوع لله تعالى والتواضع، وشرط هذا النوع من الشكر أن يكون فرح السالك بالمنعم ، لا بالنعمة ولا بالإنعام ، وحول هذا المعنى يقول الغزالى "أنه فرح بالمنعم ، ولكن لا من حيث ذاته ، بل من حيث معرفة عنايته التى تستحثه على الإنعام فى المستقبل ، وهذا حال الصالحين الذين يدعون الله ويشكرونه؛ خوفا من عذابه ، ورجاء لثوابه .(١)

وعلى الجملة : فلا يعتقد أحد أن هناك منعم غير الله تعالى ، فالنعم كلها من الله ، أما العباد فهم مسخرون من جهة الله تعالى ، يقول الغزالى :"كل من وصلك نعمة من الله تعالى،على يده فهو مضطر ؛ إذ سلط الله عليه الإرادة ، وهيج عليه الدواعى ، وألقى فى نفسه أن خيره فى الدنيا والآخرة أن يعطيك ما أعطاك ، وأن غرضه المقصود عنده فى الحال والمآل لا يحصل إلا به ، وبعد أن خلق الله له هذا الاعتقاد ، لا يجد سبيلا إلى تركه ، فهو إذا إنما يعطيك لغرض فى نفسه ، لا لغرضك ، ولو لم يكن غرضه فى العطاء لما أعطاك ، ولو لم يعلم أن منفعته فى منفعتك لما

---

(١) إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ٧٢ .

نفعك ؛ فهو إذن ، ما يطلب نفع نفسه بنفعك ؛ فليس منعما عليك ، بل اتخذك وسيلة إلى نعمة أخرى ، هو يرجوها (١).
وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الرجاء يبعث السالك على مقام الشكر ، وهو أعلى المقامات فيما يرى صوفية الإسلام ، وهو خلاصة العبودية لله تعالى ؛ فإنه إذا حصل السالك على ما يرجوه من الله ، كان ذلك أدعى إلى شكره ، يقول ابن القيم حول هذا المعنى :"إنه (أى الرجاء) يبعثه على أعلى المقامات ، وهو مقام الشكر الذى هو خلاصة العبودية؛ فإنه إذا حصل له مرجوه ، كان أدعى لشكره".(٢)

وعلامة الرجاء فى السالك ومظاهر تحققه به ، أنه إذا أحاط به الإحسان ، فإن الله يلهمه شكره ، فيرجو من الله عندئذ إتمام نعمه عليه ، وعفوه عنه فى الآخرة ، وحول هذا المعنى سئل أحمد بن عاصم : ما علامة الرجاء فى العبد ؟ فقال : أن يكون إذا أحاط به الإحسان ، ألهم الشكر، راجيا لتمام النعمة من الله عليه فى الدنيا والآخرة ، وتمام العفو عنه فى الآخرة (٣) .

---

(١) إحياء علوم الدين ، حـ ٤ ، ص ٧١ ، ٧٢ .
(٢) مدارج السالكين ، حـ٢ ، ص ٣٦ .
(٣) مدارج السالكين ، حـ ٢ ، ص ٢٦ .

الفصل الخامس

ارتباط الرجاء بالمعرفة

الفصل الخامس

ارتباط الرجاء بالمعرفة

(١) تمهيد.

(٢) منهج المعرفة .

(٣) اداة المعرفة .

(٤)موضوع المعرفة .

الفصل الخامس

ارتباط الرجاء بالمعرفة

١- تمهيد :

تحدثنا فى الفصل السابق عن ارتباط الرجاء بالمقامات والأحوال ، فتكلمنا عن ارتباط الرجاء بمقامات كالزهد والتوبة والصبر والشكر والتوكل ، كما بينا ارتباط الرجاء بالأحوال مثل حال الحب والخوف وغيرها وسوف نتحدث فى هذا الفصل عن ارتباط الرجاء المعرفة وأعنى بها بالمعرفة الكشفية ، موضحين أنها تأتى على الصوفى عن طريق الفضل الإلهى على هيئة بوارق ولوامع تأتى فجأة ، ثم نتحدث عن منهج الصوفية فى المعرفة الكشفية ، وأداة المعرفة عندهم ، ثم موضوع المعرفة وهو الذات والصفات الإلهية . ونوضح أخيرا ارتباط ذلك كله بالرجاء .

٢- الرجاء ومنهج المعرفة :

يعتبر الكشف عند الصوفية أرقى مناهج المعرفة ، وهو يرتبط عندهم بالرجاء ، من حيث أن الكشف أو المكاشفة تعنى فى أصطلاحهم كشف الله لعبده ما لم يكشفه لغيره ،

والرجاء فى هذه المرتبة هو :(توقع المشاهدة حين المكاشفة)(١).

ويذهب صوفية الإسلام إلى أن الله يطلع المريد أثناء هذه المكاشفة على ما لم يطلع عليه غيره .(٢)

وإذا بلغ السالك فى المعرفة إلى حد ، كأنه يطالع ما اتصف به الرب سبحانه من صفات الكمال ، ولغوت الجلال، وأحست روحه بالقرب الخاص ، الذى ليس هو كقرب المحسوس من المحسوس ن فإنه يشاهد رقع الحجاب

---

(١) أنظر مدارج السالكين،ح٣ ، ص ١٥٩ ؛ وراجع كذلك جامع الأصول، ص ٣٤١ .

(٢) المكاشفة فى اصطلاح الصوفية هى : شهود الأعيان ، وما فيها من الأصول ، فى عين الحق ، فهو التحقيق الصحيح بمطالعة تجليات الأسماء الإلهية ، وصورتها وفى البدايات ، الإيمان بحقائق الأسماء الإلهية ، وفى الأبواب ، انفعال القوى النفسانية عن معانى الأسماء الإلهية ، وفى المعاملات التهدى للعمل بمقتضاها ، وإجابة دواعيها ، وفى الأخلاق : الوقوف على كيفية التخلق بالأخلاق الإلهية ، وفى الأصول الإلهية الباعثة على السلوك ، المطلع على شهود التجليات الأسمائية الشعور بأنوار التجليات الإسمائية . وفى الأحوال : تلألؤ أنوار الوجود الأسمائية ، المهيجة للمحبة الصادقة ،الجاذبة للسالك إلى حضرة العندية . وفى الولايات : انكشاف الحجب الأسمائية بصفاء صفات السالك فيها ، ودرجتها فى النهايات : شهود أحدية الذات فى صور الصفات فى مقام البقاء بعد الفناء .

أنظر ، أحمد ضياء الدين الكمشخانوى ، جامع الأصول ، ص ٣٦٢ .

بين روحه وقلبه ، وبين ربه على حد قول أحمـــد ضيـاء الدين الكمشخانوى (١)

والمنهج الكشفى ليس نتيجة للعقل أو المنطق ،بل هـو كشف لحظى ، كما أنه لا يكتسب بطريـــق الدليـل ، بـل بالإلهام أو ما يسمى بالحدس الوجدانى ، وذلك فى مقـابل المنهج الاستنباطى أو الاستدلالى الذى يحتاج فى ذلك إلـى وقت طويل ، وإلى هذا المعنى ينشد جلال الدين الرومـى شعرا :ذهب العمر فى المحمول والموضوع كما ذهب مـن غير بصيرة فى المسموع (٢)

وحجاب السالك الذى يحجبه عن الكشف ، هو نفسـه ، فإذا تحقق بذلك وارتفع عنه حجاب النفس ، فإنه يصل إلـى بلوغ ما وراء الحجاب ، أى أنه يصل إلى وجود الحقيقة(٣).

---

(١) أنظر ، جامع الأصول،ص ٣٢٦،وراجع مدارج السـالكين جـ٣ ، ١٥٩

(٢) قاسم غنى (الدكتور) ، تاريخ التصـوف فـى الإسـلام ، القـاهرة ، ١٩٧٢م ص ٧٣٤ .

(٣) النفس عند الصوفية يراد بها المعنى الجامع للصفات المذمومـة مـن الإنسان ، فيقولوا : لابد من مجاهدة النفس وكسر شـهوتها ، وإليـه الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم (أعدا عدوك ، نفسك التـى بيـن جنبيك) ، راجع روضة الطالبين للغزالى ، ص ١٦٧ .

والمكاشفة هنا فيما يذهب إليه بعض صوفية الإسلام ، تكون مكاشفة عين ، أى أن متعلق هذه المكاشفة عين الحقيقة ، وأن يصير المعلوم مشاهدا للقلب ، أو ما يسمى عندهم (كشف العيان) ، واستمع إلى ابن القيم وهو يقول حول هذا المعنى: "كشف العيان القلبى ، بحيث يصير الرب سبحانه كأنه مرئى للعبد ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم: اعبد الله كأنك تراه "(١)

وعلى الجملة : فإن هذه المكاشفة لا تنزل على من بقى فيه حجاب بينه وبين هذه المكاشفة ، وهذا الحجاب يحجب ما وراءه من كشفه وشهوده ومن ظن أن كشف العين ؛ ظهور الله تعالى لعيانه حقيقة فقط أخطأ ، فإن هذا لم يحدث لموسى عليه السلام .

والعارف فى كشفه هذا ، قد يظهر له نور عظيم ، فيتوهم أن ذلك نور الحقيقة الإلهية ، وأنها قد تجلت له ، وهذا غير صحيح ، فإن نور الحق تعالى لا يظهر للناس العاديين ، ولكنه ظهر للجبل حين كلم موسى الله تعالى " رب أرنى أنظر إليك " ، وتد كدك الجبل أمام هذا النور الإلهى .

---

(١) مدارج السالكين ، ح٣ ، ص ١٦٥ .

ويذهب صوفية الاسلام إلىأن هذاالنور إذا تمكن من القلب، وأشرق فيه ،فاض على الجوارح ، فيرى أثره في الوجه والعينين ، ويظهر فى القول والعمل ، وقد يقوى ، لاستيلاء أحكام القلب عليه ، وغيبته أحكام النفس ، وهذه هى أنوار استيلاء معانى الصفات والأسماء على القلب .(١) والمكاشفة أو الكشف تتعلق بالصفات الإلهية ، ووظيفتها كشف النعوت والأوصاف الإلهية ، بالإضافة إلى أسمائها وأفعالها ، وهذا يعنى أن المكاشفة تعتبر شهود وصفى ، وذلك فيما يرى ابن القيم (٢).

وعلى الجملة : فإن الصوفى أثناء الكشف يشهد الصفات ، ويجول قلبه فى عظمتها ، فهو مشغول بالصفات ومتعلقاتها.

وهذه المكاشفة إذا قويت ،صارت مشاهدة (٣) أو شهود. وحينئذ إذا أراد الصوفى أن يقوى رجاءه فى الله تعالى ، فيجب عليه أن يشهد ما من الله تعالى إليه من الإحسان

---

(١) أنظر مدارج السالكين ، ح٣ ، ص ١٦٥ ، والقلب فى اصطلاح الصوفية هو لطيفة ربانية روحانية لها بهذا القلب الجسمانى تعلق ، يضاهى تعلق الأعراض بالأجسام ، والأوصاف بالموصوفات ، وتلك للطيفة هى حقيقة الإنسان المدرك ، العالم ، المطالب ، المثاب ، المعاقب ، راجع ، روضة الطالبين ، ص ١٦٦ .

(٢) مدارج السالكين ، حـ ٣ ، ص ١٦٨ .

(٣) انظر ، جامع الأصول ، ص ٣٦٢ .

واللطف والفضل ، واستمع إلى الكمشخانوى وهـو يقـول حول هذا المعنـى .(الرجـاء توقـع المشـاهدة ، حيـن المكاشفة)(١)

حتى إذا قوى الرجاء فى بداية المشاهدة ، فإن الصوفى عقب ذلك يغيب عن الرجاء ، وذلك بشهود ما من الله إلـى الله ، وهو مقام أهل الشهود ، يقول ابن القيم فى هذا الشأن:" الغيبه عن الرجاء ، والخوف ، بشهود ما من الله إلـى الله ، وهو مقام أهل الشهود (٢)

وحينئذ يرقى السالك إلى مرتبة أخرى ، ومقام أعلـى ، ورجاء أفضل فيما يرى صوفية الإسلام ، وهذا الرجاء هو

---

(١) المشاهدة فى اصطلاح الصوفية من ولاية الذات ، كما أن المكاشفة من ولاية النعت ، فالمشاهدة شهود الذات بارتفـاع الحجـاب مطلقـا ، وصورتها فى البدايات : اعتقاد حضور الحق بذاته لكل شئ والإيمان بذلك ؛ لقوله تعالى :"أو لم يكف بربك أنه على كل شئ شهيدا" ؟
وفى الأبواب :الإيمان بأنه موجود بالحق ، وهو القيوم بذاته
وفى المعاملات : إيقان كون الأعمال كلها لوجه الله تعالى
وفى الأخلاق : تيقن أن الكمالات الخلقية لله .
وفى الأصول : أن سيرة ليس إلا إلى الله .
وفى الأدوية : إدراك الحق بنور البصيرة المكحلـة بنـورة ، وفـى الأحوال : شهود تجليات أنوار الجمال .
وفى الولايات : كشف سبحان الجلال عن جمال الذات ودرجتها فـى النهايات : شهود الحق ذاته بذاته ؛لغناء العبد بكليته فى عين الجمـع
جامع الأصول ، ص ٣٤١ .

(٢) أنظر ، ايقاظ الهمم ، ص ٢٧٦ .

"توقع المعاينة عن المشاهدة "(١). ويرتب صوفية الإسلام على السالك شروطا لابد من اتباعها أثناء المشاهدة أو الشهود ، يقول ابن القيم :" من شروط المشاهدة أن يحضر (السالك) قلبه وذهنه عند المكلم له ، وهو الشهيد : أى الحاضر غير الغائب "(٢)

وينصح صوفية الإسلام ، السالك للطريق الصوفى فى مقام الشهود أن يكون له قوة بصيرة ؛ أو بصيرة نافذة ، وأن يحدق بهذه البصيرة نحو المرئى أو المشاهدة ، وأن لايكون قلبه مشغول بغيره ، ويذكر ابن القيم دليلا عقليا يثبت به صحة ما تقدم ، فهو يقول :"كما أن المبصر لا يدرك حقيقة المرئى ، إلا إذا كانت له قوة مبصرة ، وحدق بها نحو المرئى ، أو حدق نحوه ولكن قلبه كله فى موضع آخر ، لم يدركه ، فكثيرا ما يمر بك إنسان أو غيره ، وقلبك مشغول بغيره ، فلا تشعر بمروره ، فهذا الشأن يستدعى صحة القلب وحضوره " (٣).

وجدير بالذكر أن الصوفى هنا فى شهوده ، يتعلق شعوره المستمر ، ويتركز فى موضوع واحد ، وهو الله ،

---

(١) جامع الأصول ، ص ٣٤١ .
(٢) مدارج السالكين ، حـ ٣ ، ص ١٦٦ ، ١٦٧ .
(٣) مدارج السالكين ، ح٣ ، ص ١٦٦ .

وحينما يشتد شعوره بهذا الموضوع ، فإن الصوفي يفقد شعوره بنفسه وبالعالم من حوله ، وهذا ما يسميه علم النفس الحديث والمعاصر بتركيز الانتباه والشعور من الناحية النفسية على موضوع واحد بعينه(١) .

وفى هذا الشهود ، يشاهد الصوفى ذاتا جامعة للأسماء والصفات الإلهية فى حال الفناء ، ويحلل ابن القيم هذا الشهود بقوله :" الموحد يشاهد ذاتا جامعة للأسماء الحسنى ،والصفات العلى ، لها كل صفة كمال ، وكل إسم حسن "(٢) والصوفى، فى شهوده للفناء ، يشهد تفرد الرب سبحانه بالأزلية وبالدوام وبالخلق والفعل ، وهذا هو الفناء فى شهود الربوبية والأزلية والأبدية ، بحيث يطوى بساط الأكوان شهودا ، وفى هذا الشهود أيضا ينمحق وجود الصوفى ، فى وجود الله تعالى ، كما ينمحق تدبيره فى تدبير الله ،ويصير الله تعالى هو المشهود ، فلا وجود لغير الله ، ولا فعل لغيره، بل أن وجود غيره كالخيال "(٢) .

---

(١) James Leuba : Psychlologie du mysticisme religieux , paris , 1925, P-248.

(٢) مدارج السالكين ، ح٣ ، ص ١٧٥ .

(٢) راجع ، مدارك السالكين ، ح٣ ، ص ١٧٥

وبالجملة : أن الصوفى ، فى شهوده ، يشهد تفرد الرب سبحانه بالأزلية والدوام ، ويفنى فى شهود الربوبية ؛ بحيث يرى أن الوجود الحقيقى لله وحده .

ومن الرجاء فيما يرى الصوفيـــة ، توقـــع المعاينـــة عـــن المشاهدة ، والمعاينة تعنى عندهم الرؤية بالعين ، فيقـــال : عاينه : إذا وقعت عينه عليه .(١)

ويقسم الصوفية المعاينة قسمين : فهناك معاينة القلب : وهى انكشاف صورة المعلوم له ؛ بحيث تكون نسبته إلى القلـــب كنسبة المرئى إلى العين .(٢)

أما معاينة البصيرة فيما يـــرى الصوفيـــة ، فـــهى الإدراك الباطن ، بحيث تستحضر القوة العاقلة مدركها ، وتســـتغرق فيه ، فيغلب حكم القلب على حكـــم الحـــس والمشـــاهدة ، فيستوى على السمع والبصر .(٣)

---

(١) أنظر ، مدارج السالكين ، ح٣ ، ص ١٧٦ .
(٢) مدارج السالكين ، ح٣ ، ص ١٧٧ .
(٣) مدارج السالكين ، حـ٣ ، ص ١٧٩ .
والمعاينة فى اصطلاح الصوفية هى : عيان الحق ذاته بذاتـــه بـــلا شبهه ، وصورتها فى البدايات : اعتقاد معانيه الحـــق فـــى الآخـــرة بالبصيرة ، كما فى الخبر من قوله صلى الله عليه وســـلم :"ســـترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر ، لا تضامون فى رؤيته " .
وفى الأبواب : رؤيته فى صورة نورية خيالية .
وفى المعاملات : اعتقاد كونه مرئيا بنور البصيرة .

ولما كان عالم البصيرة هو عـــالم البـــاطن ، فـــإن آســـين بلاسيوس يحلل الجانب النفسى لعالم البصيرة ، فيقـــول :"أن التجديد لميدان الشعور بالعالم الخارجى ، الذى يعوض عنــه الزيادة فى الشعور بعالم الباطن ، هـــو الممـــيز الرئيســـى لظاهرة الفناء ، تركز وحشد للنشاط الذهنـــى علـــى فكـــرة واحدة هى "الله" ، باستبعاد كل فكرة أو صـــورة أو خـــاطر يتعلق بالمخلوقات ، من شأنه أن يستبعد من الأفق الشعورى حضور كل هذه الكائنات المخلوقة "(١)

وبالجملة : إن الصوفى عندما يتحقق بالمعاينة ، فإنه يكـــون متوقعا أو منتظرا لهذا المقام الذى يكون نتيجة المشـــاهدة أو الشهود ، فإذا تم للصوفى ذلك ، فإنه يكون قد تحقـــق لـــه

وفى الأخلاق : العلم بأن له وجودا خاصا ممتازا عن جميع الموجـــودات ؛ بكونه غير عارض لماهيته ،بل وجوده عين لحقيقته ، غير معقـــول مـــن حيث خصوصيته .

وفى الأصول: معاينة وجه الحق بنور البصيرة مطلقا ومقيدا فـــى كـــل ، وهى معاينة بشواهد العلم .

وفى الأحوال: معاينة عن الروح عيانا محضا ، غير مستمر ، فيهيج الحب والشوق .

وفى الولايات : معاينة وجه الحق بعين الحق فى حضرة الواحدية ، عنـــد الاتصاف بصفات الحق ، ودرجتها فى النهايات : معاينة الحق ذاته بذاتـــه على الاستمرار اللازم للتمكين فى عين الجمع ، عند محق الرسم فى عيـــن الازلية بالكلية ، أنظر ، جامع الأصول ، ص ٣٦٢ .

(١) Underhill :(E); Mysticism, A study in the nature and development of man's spritilal consciousness; london' 1949; P. 329.

الرجاء فى هذه المرتبة ، التى يحدثنا عنـــها الكمشـــخانوى بقوله :"الرجاء توقع المعاينة عن المشاهدة ".

٣- أداة المعرفة :

يعتبر القلب أداة المعرفة عند صوفية الإسلام ، وهـــو الأداة التى يؤثرها الصوفية على غيرها .

وشرط التحقق بالمعرفة الألهية عند الصوفية ، ســلامة القلب ، وهم يعنون بها ،فناؤه عـــن الشـــهوات والصفـــات السيئة ، فإن القلب إذا تعرض للشهوات والمعـــاصى فإنـــه يفسد ولا يتحقق بالمعرفة الإلهية ، وإذا كان الأمـــر كذلـــك فإنه يجب على السالك أن يعمد إلى تصفية قلبه عما يميـــل إليه من الشهوات ، ويزكيه من هذه الأمراض التى تفسـده ، ومن هذه المفسدات ، التمنى ، فالتمنى يكون مع الكســـل ، ولا يسلك بصاحبه طريق الجد والاجتهاد ، أما الرجاء فإنـــه يكون مع بذل الجهد وحسن التوكل (١)

ويحلل ابن القيم موضحا الفرق بين الرجاء والتمنى ، فيـأتى بأمثلة من المجتمع تظهر لنا هذا الفـــرق ، فـــهو يقـــول : "فالأول (التمنى) كحال من يتمنى أن يكون له أرض يبذرها

---

(١) أنظر ، مدارج السالكين ، حـــ٢ ، ص ٢٦ .

ويأخذ زرعها ، والثانى (الرجاء) كحال من يشــق أرضــه ويفلحها ويبذرها ، ويرجو طلوع الــزرع ولــهذا أجمــع العارفون على أن الرجاء لا يصح إلامع العمل (١)

ويذهب صوفية الإسلام كذلك إلى أن من مفســدات القلــب أيضا ، التعلق بغير الله تعالى ، كأن يرجو من العبد مالا أو أعواضا أو غير ذلك ، أما إذا تعلق قلــب الصوفــى بــالله تعالى، فيرجوه ، كان ذلك أفضل ، وحول هذا المعنى يقـول ابن القيم:من فوائد الرجاء أن العبد إذا تعلق قلبــه برجــاء ربه، فأعطاه ما رجاه ، كان ذلك الطف موقعا ، وأحلى عند العبد ، وأبلغ من حصول مالم يرجه ، وهذا أحد الأســباب والحكم فى جعل المؤمنين بين الرجاء والخوف فــى هــذه الدار (الدنيا) (٢)

وصلاح القلب إذن عند صوفية الإسلام يكون فى الرجــاء فى الله ، وعدم الطلب والسؤال والاعتماد على غيره مــن البشر يقول أبو عثمان الحــيرى النبســابورى (المتوفــى عام٢٩٨ هـ) " صلاح القلب فى أربــع خصــال ، فــى

(١) مدارج السالكين ، حـ ٢ ، ص ٢٦ .
(٢) مدارج السالكين ، حـ ٢ ، ص ٣٦ .

التواضع له ، والفقر إليه ، والخوف من الله ، والرجاء فـــى الله "(١)

والرجاء فيما يرى صوفية الإسلام ، يحدث من انتظاره وتوقعه ، تعلق القلب به وارتياحه ، وهـــذا إذا كـــان هـــذا الرجاء لله ، ولشئ محبوب ، يقول الغزالـــى حـــول هـــذا المعنى:"إن كان (الرجاء) محبوبا ، حصـــل مـــن انتظـــاره وتعلق القلب به ، وإخطار وجوده بالبال ، لذة فـــى القلـــب وارتياح"(٢)

ولما كان الرجاء ليعنى الأمل ، فإن بعـــض الصوفيـــة ينصحون مريديهم بقصر الأمل ، ويحذرونهم مـــن طـــول الأمل ؛ لأن طول الأمل يقسى القلب ، يقول زين الدين عبد العزيز المليبارى حول هذا المعنى :"عليك أن تجتنب طـــول أملك ،فإنه إذا طال ، هاج أربعة أشياء ، ويذكر المليبـــارى منها : القسوة فى القلب ، والنسيان للآخرة ؛ لأنك إذا أملـــت العيش الطويل ، لا تذكر الموت والقبر ، وعن على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه (أخـــوف مـــا أخـــاف عليكـــم اثنان:طول الأمل ، واتباع الهوى ، إلا أن طول الأمل ينسى الآخرة ، واتباع الهوى يصدك عن الحق ، فإذن ، يصـــير

---

(١) أنظر ، طبقات الصوفية ، ص ٤٠ .

(٢) إحياء علوم الدين ، حـــ ٤ ، ص ١٥٣ .

فكرك فى حديث الدنيا وأسباب العيش ، وفى صحبة الخلــق ونحوها ، فيقسو القلب "(١)

ويتبين من كلام صوفية الإســـلام أن الصوفـــى لا يتحقــق بالمعرفة الإلهية إلا إذا زكى قلبه ، وعندئذ يتعرض الســـالك للفضل الإلهى والكرم ، نتيجة امتلاء قلبه من الإيمان بـــالله واليوم الآخر ، يقول ابن القيم فى هذا المعنى : "الرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الإيمان بالله واليوم الآخر ، فمثل بين عينيه ما وعده الله تعالى من كرامته وجنته ، وامتد القلـــب إلـــى ذلك، شوقا إليه ، وحرصا عليه ، فهو شبيه بالماد عنقه إلـى مطلوب قد صار نصب عينيه"(٢)

ويستطرد ابن القيم حديثه قائلا: "ومن هنا صار كل خـــائف راجيا ، وكل راج خائفا ، فـــأطلق إســـم أحدهمـــا علـــى الآخر،فإن الراجى ،قلبه قريب الصفة من قلب الخائف ، هذا الراجى قد نما قلبه عن مجاورة النفس والشيطان ، مرتحـــلا إلى الله "(٣)

---

(١) أنظر ، أحاديث وآثار ومواعظ ، ص ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ .
(٢) أنظر ، ابن القيم ، الروح ، دار عمر بن الخطاب ، الاسكندرية ، عـــام ١٩٨١م ، ص ٣٣٠ .
(٣) الروح ، ص ٣٣٢ .

ويقول نيكلسون فى نفس هذا المعنى:" إن القلب ينطفئ نوره بالذنوب ، فيلوث بالشهوات والأوهام ، وينجذب إلى الأمـــام والخلف بين العلل والشهوات فى معركة ، فيها يجاهد جنود الله ، الشيطان ؛ للفوز ، وعن الطريق الأول يتلقى القلـــب المعرفة الإلهية المباشرة ، وعن الآخر يدخل القلـــب فـــى الأوهام الحسية "(١)

٤ـ موضوع المعرفة:

موضوع المعرفـــة عـــد صوفيـــة الإســـلام ، ذات الله وصفاته وأسمائه ، وهو يرتبط عندهم بالرجاء ، حيـــث أن العارف فى حال فنائه ، والتحقق بالمعرفة الإلهية ، يشـــهد صفات الله وأسمائه ، ويشهد كثرة الاسماء والصفـــات فـــى الذات الواحدة ، ويشهد كذلك وحدة الذات مع كثرة أســـمائها وصفاتها .

وينبه صوفية الإسلام العارف أيضا إلـــى أن معرفـــة الذات والصفات والأسماء الإلهية ، فضل من الله ورحمـــة لعباده الذين اصطفى ، وأن هذه الصفات قديمـــة وأزليـــة ، يقول الغزالى حول هذا المعنى :"الرجاء:مطالعة الصفـــات القديمة التى يصدر عنها كل ما ساء وسر ، ونفع وضـــر ،

(١)The mystics of Jslam, P.P.- 68 - 69.

فمن عرف هذا من صفاته خافه ورجاه ، وهذا هو الرجاء المقصود لذاته ، لا يتوقع بحسنه ، ولا يندفع بسيئة، إنما ينشأ عن فضل الله تعالى لمن سبقت له السعادة "(١)

ولما كانت أسماء الله وصفاته فضلا من الله ، فإن الرجاء انتظار وتوقع لفضل الله ، حتى إذا تحقق الصوفي بهذه الصفات ، فإنه ينبغي أن يتعلق قلبه بها ، ويديم التفاته إليها ويلاحظ إسماءه وصفاته .

والتعلق بالأسماء والصفات الإلهية . هو الشعور بمعناها ، يعني معرفة هذه المعاني على سبيل الكشف ؛ حتى تتضح حقائقها ، وينكشف للعارف اتصاف الله بها ، فإذا تم للعارف ذلك ، لجأ في كل أموره إلى الله تعالى ، ورفض كل ما سواه ، فمثلا ، إذا نظر العارف إلى وصفه تعالى بالغنى ،تعلق بمعناه ، واستغنى عما سواه ، ولم بفتقر إلى شئ ، وظهر له في القلب فقر إليه ، وحول هذا المعنى يقول ابن القيم : " أن في الرجاء من الانتظار والترقب والتوقع لفضل الله ما يوجب تعلق القلب بذكره ، ودوام الالتفات إليه بملاحظة أسمائه وصفاته ، وتنقل القلب في رياضها الأنيقة ، وأخذه نصيبه من كل إسم وصفة ، فإذا

(١) أنظر ، روضة الطالبين . ص ٢٤٣ .

فنى عن ذلك ، وغاب عنه فاته حظه ونصيبه من معـــانى هذه الأسماء والصفات(١)"

وينبغى على العارف كذلك فيما يرى صوفية الإســـلام التحقق بأسماء الله وصفاته ، والتحقق عنده يعنى أن يفنـــى من نفسه الصفات التى فيـــها حظـــوظ النفـــس ، ويتحلـــى بأضدادها مما يليق بوصفه هو فى علاقته مع الله ، فيكـــون مع الله بالذل لا بالعز ، وبالخضوع لا بالعلو ، وبالهيبـــة لا بالقهر ، وهكذا فى جميع صفات الجـــلال ، أمـــا صفـــات الجمال ، مثل اللطف والرحمة والعطف ، فعلى العـــارف أن يتحقق ويتحلى بالأنس مع الله تعالى ، يقول الســـهر وردى البغدادى حول هذا المعنى : "الرجاء: رؤية الجـــلال بعيـــن الجمال"(٢)

ويرى بعض الصوفية أنه أثناء الشهود ، يشهد الســـالك الأسماء والصفات الإلهية ، ثم يترقى بعدها إلـــى مشـــاهدة الذات شهودا ذوقيا ، إلا أن السالك قد يتوقف عنـــد شـــهود الصفات الإلهية ؛ خوفا من شهود معانى الذات وصفاتـــها ،

---

(١)أنظر ، مدارج السالكين ، حـ٢ ، ص ٣٧ .

(٢) أنظر ، عوارف المعارف ، حـ٤ ، ص ٣٢٠ ، والجمال : هو تجليـه تعالى ، بوجهه لذاته ، أما الجلال فهو أحتجاب الحـق تعـالى عنـا بعزته، أنظر ، اصطلاحات الصوفية للقاشانى ، ص ٤٠ .

وهذه الصفات الذاتية مثل: سابق العلم ، وخفى المكر ، وباطن الاستدراج ، وبطش القدرة ، وحكم الكبر والجبروت وهى صفات الجلال ، فإنه يرجو الله تعالى أن يتحلى بصفات الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان ؛ وهى صفات الجمال ، وحول هذا المعنى يقول أبو طالب المكى :"إن كان قد أقيم (السالك) فى مقام (خوف الصفات) عن مشاهدة معانى الذات ، مثل : سابق العلم ، وسوء الخاتمة ، وخفى المكر ، وباطن الاستدراج ، وبطش القدرة ، وحكم الكبر والجبروت ، رفع (السالك) عن هذه المقامات إلى المحبة والرضا ، فرجا من معانى الأخلاق وأسماء الكرم والإحسان والفضل والعطف واللطف والامتنان "(١)

ومن فوائد الرجا فيما يرى صوفية الإسلام ، أن الرجاء يوجب للسالك معرفة أسماء الله وصفاته والتعلق بها ، والدعاء بها ، والتعبد عن طريقها ، واستمع إلى ابن القيم وهو يقول فى هذا المعنى عن فوائد الرجاء :

"أنه (أى : الرجاء) يوجب له (أى للسالك) المزيد من معرفة الله وأسمائه ومعانيها ، والتعلق بها ، فإن الراجى

(١) أنظر ، قوت القلوب ، ص ٢١٥ .

متعلق بأسمائه الحسنى ، متعبد بها ، داع بـــها ، قـــال الله تعالى: "وله الأسماء الحسنى فادعوه بها "(١)

وعلى الجملة : لا ينبغى أن يعطل السالك دعاءه باســـمائه الحسنى ، التى هى أعظم ما يدعو بها الداعـــى ، فـــالقدح فـــى مقـــام الرجـــاء تعطيـــل لعبوديـــة هـــذه الأســـماء ، وتعطيل للدعاء بها .

(١) مدارج السالكين ، حـــ٢ ، ص ٣٦ .

خاتمة البحث

خاتمة البحث

والأن بعد أن فرغنا من دراسة موضوع مقام الرجـــاء عند صوفية الإسلام ، ومـــاينطوى عليـــه مـــن المعـــانى الصوفية، والتصورات الفلسفية ، وجب علينا أن نلم فى هذه الخاتمة بأهم النتائج التى انتهينا إليها من بحثنا هذا ...

ففكرة الرجاء التى حللناها ، وعرضنا لأهـــم معانيـــها الصوفية فى الفصل الأول ، والرجاء ومجـــاهدة النفـــس ، الذى درسناه وبينا حقيقته فى الفصـــل الثـــانى ، وارتبـــاط الرجاء بالرياضات الروحية العملية الـــذى وضحنـــاه فـــى الفصل الثالث ، وارتباط الرجاء بالمقامات والأحوال الـــذى وضحناه فى الفصل الرابع ، والرجاء والمعرفة الذى بينـــاه فى الفصل الخامس ، كل أولئك قد انتهى بنا إلـــى النتـــائج التالية :

١-استخدم الزهاد الأوائل ابتداء مـــن القرنيـــن الأوليـــن للهجرة ، الرجاء بمعنى الأمل ، وهو يقترب من معنـــاه فى اللغة العربية ، حين يستخدمونه فى المبـــادرة إلـــى الخيرات واستباق الطاعات والعبادات خوف المـــوت ، وانتظار للثواب.

٢-ولقد اضاف صوفية الإسلام فى القرنين الثالث والرابع للهجرة معنى جديداً للرجاء فنجدهم وقد استخدموا الرجاء بمعناه النفسى وهو ارتياح القلب لانتظار محبوب فى المستقبل . هذا بالإضافة إلى أن صوفية القرنين الثالث والرابع للهجرة قد أضافوا معنى آخر أخلاقى ، للرجاء فنجدهم قد عرفوه بأنه تحسين الأخلاق مع الخلق ، وجميل الصبر عليهم ، وحسن الصفح ، ولطيف المداراة لهم ، تقرباً إلى الله عز وجل بذلك ، وتخلقاً بأخلاقه ، رجاء ثوابه ، وطمعاً فى تنجيز وعده ، واتباعاً لسنة رسوله .

٣-كما وجدنا ايضاً أن صوفية الإسلام عند الغزالى وشيوخ السنيين من أصحاب الطرق من بعده ، قد استخدموا الرجاء بنفس معانيه التى أشرنا إليها من قبل، إلا أنهم تكلموا فى ارتباط الرجاء بمجاهدة النفس والرياضات العملية ، والترقى فى المقامات والأحوال ، والمعرفة ، بشكل أكثر تفصيلاً ونجد أن الغزالى قد أضاف جديداً فى هذه الفترة ، بأن جعل من المعرفة نظرية متكاملة ومفصلة ، بعد أن اقتصر السابقون عليه على الإيجاز والإجمال فى الكلام عن ارتباط الرجاء بالمعرفة .

٤- ولقد استنتجت ايضاً أن الصوفية يعتمدون فى حياتـــهم النفسية على منهج التأمل الذاتـــى بمعنـــى أن يتـــأمل الصوفى ، نفسه بنفسه باطنيا ، فى شعوره بالذات .

٥-ومن النتائج الإيجابية فى التصوف الإســـلامى والتـــى أظهرتها فى هذا البحث ، دعوة الصوفية التغلب علـــى اليأس والقنوط بالأمل والرجاء ، لأن الصوفى إذا لـــم يستطع ذلك فإنه سيكون من أصحاب (إرادة المـــوت) على حد قول كيركجورد ، أما إذا تغلب علـــى اليـــأس بالرجاء ، فإنه يكون من أصحاب (إرادة الحياة).

٦-كما أوضحت أيضاً نتيجة هامة وهى أن الإنسان لايفهم حقيقة الرجاء ، فالرجاء هو مايقارنه عمل ، وإلا فـــهو أمنية ، فالأمنية أحلام وأوهام كاذبة ولايقارنها العمـل ، وهى حمق وغرور ، أو رجاء كاذب .

٧-ويترتب على ماسبق ، نتيجة أخـــرى وهـــى أن أذواق صوفية الإسلام ، ليست نوعاً من أنواع الإضطرابـــات النفسية أو الأمراض العقلية ، وإنما هى على العكـــس من ذلك ، فاليأس عندهم ، يأس سوى عادى ، يســـتطيع الصوفى أن يتخلص منه بالرجـــاء ، رجـــاء لقـــاء الله والفناء فيه ، وحال الفناء عند الصوفية ، حال ســـوى

كذلك ، لايشعر أثناءه الصوفى بنفسه ولابالعـــالم مـــن حوله ، ولكن ذلك لايدوم إلا للحظه ، يكون الصوفـــى فيها مشغول القلب بالله ، وبعدها يعود الصوفـــى إلـــى الشعور بالإنية وبالعالم .

وارجو أن أكون قد وفقت فيما قدمت من فصول هـــذا البحث ، وفيما استخلصت من النتائج المتقدمة ، إلى الكشف عن مقام الرجاء عند صوفية الإسلام .

ثبت المراجع

١- فى اللغة العربية .

٢- فى اللغة الأجنبية .

أولاً: المراجع فى اللغة العربية

١-ابن ابى سعيد (محمد بن المنور) : أسرار التوحيد ، القاهرة ، ١٩٦٩ م .

٢-ابن سبعين (عبد الحق) : رسائل ابن سبعين ، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٣-ابن عباد الرندى : شرح الحكم العطائية المسمى غيث المواهب العلية ، القاهرة ، ١٣١٠هـ .

٤- ابن عجيبة الحسنى : ايقاظ الهمم فى شرح الحكم ، القاهرة ١٩٧٢ م.

٥-ابن عربى (محيى الدين) : ذخائر الأعلاق ، شرح ترجمان الأشواق ، القاهرة ١٩٦٨ م .

٦-ابن عربى (محيى الدين) : الفتوحات المكية ، القاهرة ، ١٣٢٩هـ.

٧- ابن عربى (محيى الدين) : رسالة فى اصطلاحات الصوفية الواردة فى الفتوحات المكية ، بآخر لتعريفات للجرجانى ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

٨-ابن عربى (محيى الدين) : العبادلة ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

٩-ابن عطاء الله السكندرى : التنوير فى استقاط التدبير

١٠- ابن عطاء الله السكندرى : لطائف الممن ، القاهرة، ١٩٧٢ م

١١- ابن عطاء الله السكندرى : تاج العروس الحاوى لتهذيب النفوس ، مفصل على التنوير فى اسقاط التدبير ، القاهرة ، ١٣٤٥ هـ

١٢- ابن القيم ، مدارج السالكين ، شرح منازل السائرين للهروى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م .

١٣- ابو طالب المكى : قوت القلوب ، القاهرة ، ١٣١٠هـ

١٤- ابو العلا عفيفى (الدكتور) : شرح فصوص الحكم لابن عربى والتعليقات عليه ، القاهرة ، ١٩٤٦م

١٥- أبو العلا عفيفى (الدكتور) : التصوف الثورة الروحية فى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

١٦- أبو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) : ابن سبعين وفلسفته الصوفية ، دار الكتاب اللبنانى ، بيروت ، ١٩٧٣م .

١٧- ابو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) : دراسات فى الفلسفة الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٧م .

١٨- ابو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) : محاضرات فى علوم القرآن الكريم والعقيدة والأخلاق والتصوف والفلسفة ، القاهرة ، ١٩٧٣م .

١٩- أبو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) : مدخل الى التصوف الإسلامى ، القاهرة ، ١٩٧٤ م .

٢٠- أبو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) : الإنسان والكون فى الإسلام ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٢١- ابو الوفا الغنيمى التفتازانى (الدكتور) : مقال ، لماذا نشعر بالقلق ، مجلة التصوف الإسلامى ، السنة الأولى ، العدد الثانى ، رجب ١٣٩٩هـ - يونيه ١٩٧٩م .

٢٢- أحمد الرفاعى : البرهان المؤيد ، القاهرة ، ١٩٧١م.

٢٣- احمد زروق : قواعد التصوف ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

٢٤- الجامى (عبد الرحمن) : الحب الصوفى ، القاهرة ١٩٦٢م .

٢٥- الجرجانى : التعريفات ، القاهرة ، ١٩٣٨م .

٢٦- الجيلى (عبدالكريم) : الإنسان الكامل فى معرفة الأواخر والأوائل ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

٢٧- الحريفيش (شعيب) : الروض الفائق ، بيروت ، ١٩٧٣م

٢٨- الحلاج (الحسين بن منصور) الطواسين ، القاهرة، ١٩٧٠م

٢٩- الحلاج (الحسين بن منصور) : طائفة من شعر الحلاج ، بأخر الطواسين ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٣٠- الخراز : الطريق الى الله أو كتـــاب الصـــدق ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، الطبعـــة الثالثـــة ، القاهرة ، ١٣٩٢هـ

٣١- السلمى (أبو عبد الرحمن) ، طبقـــات الصوفيـــة ، تحقيق نور الدين شريبة ، القاهرة ، ١٩٦٩م.

٣٢- السمرقندى (ابو الليث) تنبيه الغافلين ، القـــاهرة ، بدون تاريخ .

٣٣- السهروردى (البغدادى) : عوارف المصـــــارف ، مفصل على هامش احيـــاء علـــوم الديـــن للغزالـــى ، القاهرة، ١٩٧٢م .

٣٤- الســـهروردى (المقتـــول) : حكمـــة الإشـــراف ، استانبول، ١٩٤٥ .

٣٥- الشعرانى (عبد الوهـــاب) : الطبقـــات الكـــبرى ، القاهرة ١٣٤٣ هـ .

٣٦- الشعرانى (عبد الوهاب) : الأنوار القدسية فى بيان آداب العبودية ، مفصل على الطبقات الكبرى ، القاهرة ١٣٤٣هـ .

٣٧- الشـــعرانى (عبـــد الوهـــاب) : لطـــائف الممـــن والأخلاق، القاهرة ، ١٣١١هـ .

٣٨- الطوسى (الصراج) : اللمع ، تحقيق الدكتور عبـــد الحليم محمود ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٣٩- عماد الدين الأموى : حياة القلوب ، مفصل على هامش قوت القلوب لأبى طالب المكى ، القاهرة ، ١٣١٠هـ .

٤٠- الغزالى (ابو حامد) ، احياء علوم الدين ، القاهرة ١٩٥٦م .

٤١- الغزالى (ابو حامد) : بداية الهداية ، القاهرة ، ١٩٦١.

٤٢- الغزالى (ابو حامد) :الرسالة اللدنية ، القاهرة ، ١٩٣٤م .

٤٣- الغزالى (ابو حامد) : ميزان العمل ، القاهرة ، ١٩٧٠م .

٤٤- قاسم غنى (الدكتور) : تاريخ التصوف فى الإسلام، القاهرة ، ١٩٧٢م .

٤٥- القاشانى : كشف الوجوه الغر لمعانى نظم الدر ، القاهرة ، ١٣١٠هـ .

٤٦- القاشانى ، شرح فصوص الحكم لأبن عربى ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

٤٧- القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) : الرسالة القشيرية ، القاهرة ١٩٥٩م .

٤٨- القشيرى (عبد الكريم بن هوازن) : لطائف الإشارات تفسير صوفى للقرآن الكريم ، تحقيق الدكتور ابراهيم بسيونى ، القاهرة ، ١٩٧٠ م .

٤٩- الكلاباذى : التعرف لمذهب أهل التصوف ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩ م .

٥٠- الكمشخانوي ، جامع الأصول ، القاهرة ، ١٣٢٨هـ .

٥١- المحاسبى : الرعاية لحقوق الله ، تحقيق الدكتور عبد الحليم محمود ، دار الكتب الحديثة مكتبة المثنى ببغداد ، القاهرة ، بدون تاريخ .

٥٢- محمد مصطفى حلمى (الدكتور) : ابن الفارض والحب الإلهى ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

٥٣- المليبارى (زين الدين) : احاديث ومواعظ ، مفصل على الروض الفائق للحريفيش ، بيروت ، ١٩٧٣م .

٥٤- النابلسى (عبد الغنى) : القول المتين فى بيان توحيد العارفين مطبعة صبيح ، القاهرة ، بدون تاريخ.

٥٥- النفرى (محمد بن عبد الجبار) : المواقف والمحاطبات نشر آربرى ، القاهرة ، ١٩٣٤م

٥٦- الهجويرى ، كشف المحجوب ، طابع مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ، ١٩٧٥ م .

٥٧- ابن الأثير الجزرى : جامع الأصول من أحـــاديث الرسول ، القاهرة ، ١٩٤٩ م .

٥٨- ابن تيمية ، التحفة العراقية فى الأعمال القلبيـــة ، القاهرة ، ١٣٩٩هـ .

٥٩- ابن تيمية ، مجموعة الرسائل والمسائل ، تحقيـــق محمد رشيد رضا ، القاهرة ، ١٣٢٢ هـ .

٦٠- برجسون (هنرى) : التطـــور الخـــالق ، ترجمـــة الدكتور محمود قاسم ، القاهرة ، ١٩٦٠م .

٦١- برجسون (هنرى) : الطاقة الروحيـــة ، ترجمـــة الدكتور سامى الدروبى ، القاهرة ، ١٩٧١م .

٦٢- التهانوى : كشاف اصطلاحات الفنون ، القـــاهرة ، ١٩٦٩م .

٦٣- الرازى (محمد بن ابى بكر) : مختار الصحـــاح ، القاهرة ، ١٩٦٣م .

٦٤- رسل (براتراند) : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمـــة الدكتور زكى نجيب محمود ، القاهرة ، ١٩٧٧م

٦٥- زكريا ابراهيم (الدكتور) : برجسون ، القـــاهرة ، ١٩٥٦م .

٦٦- ستيس (والتر) : الزمان والأزل ، ترجمة الدكتـــور زكريا ابراهيم ، بيروت ، ١٩٦٧ م

٦٧- عبد الرحمن بدوى (الدكتور) : الزمان الوجـــودى، القاهرة ، ١٩٦٢م .

٦٨- عبد الرحمن بدوى (الدكتور) : ارسطو ، القاهرة ، ١٩٥٣م .

٦٩- القيروزابـــادى : قـــاموس المحيـــط ، القـــاهرة ، ١٣٣٤هـــ .

٧٠- كاريل (الكسيس) : الانسان ذلك المجهول ، ترجمة شفيق أسعد فريد ، بيروت ، ١٩٧٧م .

٧١- نيكلسون (رينولد) ، فـــــى التصـــوف الإســـلامى وتاريخه ، مجموعة بحوث ومقالات ترجمها الدكتـــور أبو العلا عفيفى ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، ١٩٦٩م .

٧٢- يحيـــى هويـــدى (الدكتـــور) : الفلســـفة الحديثـــة والمعاصرة، القاهرة ، ١٩٦٨م .

٧٣- يوسف مراد (الدكتور) : مبادئ علم النفس العـــام، القاهرة ، ١٩٦٢م .

ثانيا : المراجع فى اللغة الإنجليزية

74- Brien (Elmer), Varieties of mystic experiencs, London, 1965.

75- Al Nifari (M.I.): The Mawaqif and Mukhatabat, Tranalated by Arberry (A.J.), London, 1935.

76- James (W.) : The Varieties of religious experiences, London, 1935.

77- Ruysbroek, (Jan Van) The spritual espousals, translated by Eric college, London, 1952.

78- Lewis (H.D.) : Philosophy of religion, London, 1975.

79- Nicholson (R.) : The mystics of Islam, London, 1975

80- Pike (Nelson) God and timelessness, London, 1970.

81- Stace (W.) Mystcism and Philosophy , London, 1961.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

الفصل الثالث

ارتباط الرجاء بالرياضات

الروحية العملية

الفصل الرابع

ارتباط الرجاء بالمقامات والأحوال

الفصل الخامس

ارتباط الرجاء بالمعرفة